

كل الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

عِلْمُ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَى

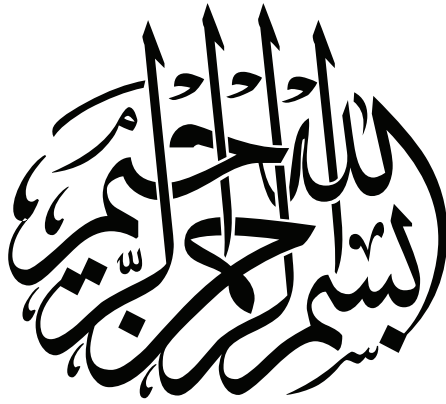
بَحْثُ تَأْصِيلِي عِلْمِي

وفيه سُنُونُ بَحْثًا وَمَسْأَلَةٌ: مِنْ أَهَمِّهَا:

- هَلْ تَعْبِيرُ الرُّؤْيَى إِلَهَامٌ أَمْ عِلْمٌ مُكْتَسَبٌ؟
- هَلْ عِلْمُ التَّعْبِيرِ عِلْمٌ لَهُ أُصُولٌ وَضَوَائِبُ؟
- أَخْطَاءُ بَعْضِ الْمَعْبَرِينَ الْمُعَاَصِرِينَ.
- الْعَلَامَاتُ الَّتِي يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى أَنَّ الْمَعْبَرَ بِهِ مَسٌّ أَوْ يَتَعَامَلُ مَعَ الْقَرِينِ.
- كَيْفَ تُصْبِحُ مُعْبَرًا؟
- الْقَوَاعِدُ وَالضَّوَائِبُ فِي التَّعْبِيرِ.
- نَتِيجَةُ الْإِسْتِبَانَةِ الَّتِي وُزِّعَتْ عَلَى خَمْسٍ وَعِشْرِينَ مُعْبَرًا.
- سَتُونَ رُؤْيَا عَبَّرْتُهَا، مَعَ بَيَانِ وَجْهِ التَّعْبِيرِ.

إِعْدَادُ

أحمد بن ناصر الطيار



المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ النَّوْمَ رَاحَةً لِلْأَجْسَادِ، ثُمَّ تَوَفَّى أَنْفُسَنَا عِنْدَ حُلُولِ الرِّقَادِ، فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَلَا يَنْقُصُ الْأَجَلُ وَلَا يَزَادُ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل الرؤيا جزءًا من النبوة ووحيا إلى العباد، فَمِنْهَا بَشَارَةٌ لِلطَّائِعِينَ بِمَا حَصَلُوا مِنَ الزَّادِ، وَمِنْهَا نَذَارَةٌ لِلْعَاصِينَ لِمَا أَحْدَثُوا مِنَ الْفُسَادِ.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى كل حاضر وباد، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله تعالى من رحمته وحكمته، ما ترك في كتابه شيئاً فيه منفعة أو مضرّة لنا إلا بيّنه، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وزاد وأعاد في إيضاح الحجة، وبيان المحجة، فأرسل رسولا صادقا أميناً، ملهماً حكيماً، فأخذ الناس عنه كلّ ما يحتاجونه في دينهم ودنياهم.

فلا يمكن أن يحتاج الناس قديماً وحديثاً أمراً إلا أوضحه، ولا شيئاً يهتمهم إلا بيّنه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فرسالته ﷺ عامة في كل شيء من الدين، أصوله وفروعه، ودقيقه وجليله، فكما لا يخرج أحد عن رسالته، فكذلك لا يخرج حكمٌ تحتاج إليه الأمة عنها وعن بيانه له. اهـ^(١).

ومن بين تلك الأمور المهمة، والحقائق الشائعة: عِلْمُ تعبير الرؤيا. هذا العلم الذي خاض الناس فيه قديماً وحديثاً، قبل البعثة وبعدها، واختلفت آراؤهم حول حقائق وكيفية الرؤيا وتعبيرها، فهل جاءت شريعتنا العظيمة الخالدة ببيانها؟ وكشف الغامض منها؟ نعم، جاءت بالتفاصيل الدقيقة، التي قطعت بها تأويل المتأولين، وتذبذب المتذبذين.

فنجد القرآن الكريم تحدث عن الرؤيا في مواضع عدة، وجاءت السنة بالتفاصيل فأوضحت الحجة، بل عقد كل أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن أبواباً خاصة في الرؤيا.

ومع وضوح النصوص الشرعية وصحتها، إلا أنك ترى الأقوال الشاذة يتلقفها الناس، وترى الآراء الخاطئة منتشرة وسائدة. وما ذاك إلا لبعدهم عن تأمل الكتاب والسنة، وتهافتهم على أدعاء العلم، ممن ظن أن الشهرة هي المعيار في الرسوخ والحق. وليس هناك علم من العلوم أهمل شأنه، وهُضم حقه؛ كعلم تعبير الرؤيا.

ولمّا رأيت أن بعض المسائل تحتاج إلى مزيدٍ تحرير، وكشفٍ لما قد التبس على الكثير، وتصحيح لما اشتهر عند الناس أمره، وهو على خلاف الصواب والحق: عزمْتُ على تحقيق أهم مسائل الرؤى والأحلام.

فدَوَّنتُ في هذا البحث ما فتح الله تعالى لي في جوانب من علم
تعبير الرؤيا، من المسائل المهمة والشائكة، وحققتها حسب اجتهادي وما
ظهر لي من الأدلة وأقوال العلماء المحققين.

وأتبعتُ الخطوات التالية لأخرج بنتيجة أراها حسب اجتهادي
القاصر مُقنعةً وصائبة، وفق الدليل والتعليل:

١ - تأملُ الكتاب والسُّنة فيما يتعلّق بهذا العلم.

٢ - الرجوع إلى معاجم اللغة العربية لضبط وتحرير المصطلحات
والألفاظ المُتعلّقة بهذا العلم.

٣ - الرجوع إلى كتب علم تعبیر الرؤى وقراءتها، قديمها وحديثها،
على مُختلف توجّهات مؤلفيها، والكتب التي تكلمت عنها ضمناً؛
كشروح الأحاديث، وكتب التفسير وغيرها، وعشرات البحوث والمقالات
والمنتديات التي تكلمت عن هذا العلم، وطرّحت الأفكار والمسائل
والحوارات وغيرها.

ولا أدعي الإتيان عليها كلّها، ولكن على أهمّها.

٤ - الاستماع لمُختلف المعبرين، ممن أجاد وأفاد، وممن خلط
وحاد، ومُجالسة بعضهم.

بل هاتفْتُ وقابلتُ أكثر من أربعين مُعبِّراً، على مُختلف توجّهاتهم
وآرائهم، وأخذت الكثير من تجاربهم وخبراتهم، فاستفدت الكثير من
المعلومات، وترسّخت لدي العديد من القناعات، حينما سمعت منهم
التجارب والوقائع.

٥ - الاستماع للحوارات الإعلامية، والبرامج المرئية، المَعْنِيَّة بهذا
العلم، واستمعت لوجهات نظر الموافق والمخالف.

وليس الغرض من تأليف هذا الكتاب مجرد النقل من الأقدمين

والمُحدّثين، ولا الحشو وكثرة المراجع، بل إنّ مجرد النقل - غالبًا - لا طائل كبير من ورائه إلا زيادة معلومات، دون تغيير كبير في القناعات. وصدق الأديب مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى حين قال في مقدمة كتابه: «تاريخ آداب العرب»: «والفرق بعيد بين علم يُورد منه المؤلف إشباعًا لكتاب، وبين كتاب يُفرد إشباعًا للعلم نفسه». اهـ.

○ سبب تألّفي هذا الكتاب:

سألني أحدُ الإخوة عن رؤيا فأجبتُه بأنّي لا أعبر ولا أعرف شيئًا عن هذا العلم، ثم سألني آخر فأجبت بما أجبت الأول، فألح عليّ بعرضها عليّ، فقصّ عليّ بأنه رأى أباه الميّت أبيض الوجه جميل الثياب، فقلت: هذه علامة - إن شاء الله - على رفعة وسعاده، وذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، ففرح بذلك ودعا لي.

فقلت لنفسي: كم من رؤيا رأيْتُها جهلت تأويلها وسألت المعبرين عنها! وكم سُئلت عن رؤى فأعترف بالجهل وعدم العلم! أليس العلم أكمل من الجهل، فلم لا أتعلم وأُغني نفسي والمقربين من حولي! ولكن كيف أتعلم هذا العلم! وأين شيوخه وأساتذته؟ وهل هو إلهامٌ لا يُمكن تعلّمه، أم علمٌ كغيره؟

فذهبت إلى الشبكة العنكبوتيّة على عجلٍ لأتعرّف على المعبرين المشهورين وأنظر رأيهم.

فتفاجأت بكثير من مشاهير المعبرين بأنهم يُنكرون تعلم هذا العلم، ويقولون هو إلهامٌ من الله تعالى يختصّ به من شاء!

ثم بحثت أكثر فرأيت معبرين آخرين يُخالفون هذا الرأي، ويقولون بل يُمكن تعلّمه!

فاحترت في أيّ الفريقين أحقّ!

ومَن هو المصيب منهم؟

واختلافُهم الكثير في التعبير، ومُسْتَنَدِ التعبير، وطريقة تعاملهم من المُسْتَقْتَيْن: مُتفاوتةٌ ومُختلفةٌ في الأغلب، فكيف أعرف الحقَّ والصواب لأتبعه وأنشره، والباطلَ والخطأَ لأجتنبه وأحذّر منه، والحكمُ على الشيء فرغٌ عن تصوّره؟

فلذا: كان لزامًا عليّ أن أدُرّس هذا العلم وأخوض فيه.

فعقدت العزم على التفرغ للقراءة والبحث في كتب أهل العلم الأقدمين والمُحدّثين، لأصل إلى النتيجة الصحيحة بالدليل. وكانت البداية من أوائل شهر صفر من عام ١٤٣٦هـ.

فتوصلتُ إلى غلط من يقول بالإلهام، وإلى أنّ التعبير يُمكن تعلّمه، بل إنّ أكثر مدّعي الإلهام مُخلطون مُخرّصون.

وبعد ثلاثة أشهر تقريبًا - مع طول البحث والقراءة في كتب أهل التعبير وغيرهم، ومعرفة قواعد التعبير ومُجالسة المعبرين والسماع منهم - رأيت أنّ أجرب التعبير وأطبقه، لأخرج بيقين وقناعة في أنّ تعبير الرؤيا علمٌ وليس إلهامًا.

فأخرجتُ رقمًا جديدًا لي، وخصّصته لهذا الأمر، وخصّصت ساعة واحدة في اليوم لاستقبال المُكالمات.

وبدأت في تعبير الرؤى، مُستعينًا - بالله أولاً - ثم بأصول علم التعبير، المأخوذة من الكتاب والسنة واللغة والعرف وكتب التعبير، وطبقت قواعد أهل العلم عند تعبيري للرؤى، فرأيتُ صواب أكثر تعبيري والحمد لله، فأيقنتُ بصحة ما توصّلتُ إليه، وقد أمضيت خمسة أشهر بعد ذلك على هذا المنهج: وهو الاستمرار في تألّيفي وبحثي وتعبيري للرؤى.

علمًا أنني لا أعبر ولا أستقبل التعبير مطلقًا، فلست من أهل الاختصاص والتفرغ للتعبير.

أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يُرِينَا الحَقَّ حَقًّا وَيَرْزُقَنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَنْ يُرِينَا البَاطِلَ بَاطِلًا وَيَرْزُقَنَا اجْتِنَابَهُ، وَلَا يَجْعَلْهُ مُلْتَبَسًا عَلَيْنَا فَفَضْلٌ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

والحمد لله رب العالمين.

وأَتَقَدِّمُ بالشكر الجزيل لدار الحجاز، التي رَأَيْتُ مِنْهَا التَّعَامُلَ الحَسَنَ، والأَمَانَةَ والإِتْقَانَ، وهي تقوم بدور كبير في نشر ما ينفع المسلمين في دينهم ودنياهم، وتعتني بالكتب التي تقوم على منهج السلف الصالح.

وأشكر كلَّ من ساهم في مراجعة هذا الكتاب، وعلى رأسهم:

- ١ - الشيخ راشد بن عبد الرحمن البداح حفظه الله تعالى.
 - ٢ - الشيخ عبد الرحمن بن سعود الحمد حفظه الله تعالى.
 - ٣ - الشيخ بدر بن محمد الطيار حفظه الله تعالى.
 - ٤ - الشيخ المعبر حمد العويس حفظه الله تعالى.
- على ما قدَّموه من جهدٍ واضحٍ في مراجعة هذا الكتاب، وتدقيقه إملائيًّا ونحويًّا، فجزاهم الله خيرًا وبارك فيهم.
- وهناك غيرهم ممن أَلَحَّ عَلَيَّ بِعَدَمِ ذِكْرِ اسْمِهِ.

✍ المؤلف:

أحمد بن ناصر الطيار

إمام وخطيب جامع/عبد الله بن نوفل بالزلفي

البريد الإلكتروني:

ahmed0411@gmail.com

١٤٣٦/١٠/٢٠



○ [معنى التَّأْوِيلِ والتَّغْيِيرِ والرُّؤْيَا والحُلُمِ والإلهام]:

من أهم الأمور معرفة الألفاظ والمُصطلحات في كلّ علم وفنّ، فبه تُحلّ إشكالات لا يُمكن أن تُحلّ إلا بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : «والطريق إلى معرفة ما جاء به الرسول أن تعرف ألفاظه الصحيحة، وما فسرّها به الذين تلقوا عنه اللفظ والمعنى، ولغتهم التي كانوا يتخاطبون بها، وما حدث من العبارات وتغير من الاصطلاحات». اهـ. ^(١)

١ - مَعْنَى التَّأْوِيلِ: الرجوع، تقول: آل الأمر إلى كذا؛ أي: رجع، وسُمّي تعبير الرؤيا تأويلاً؛ «لأنّه يؤوّل أمره إلى ما رأى في منامه» ^(٢).

٢ - مَعْنَى التَّغْيِيرِ: قال ابن فارس: العين والباء والراء أصلٌ صحيح واحدٌ يدلُّ على النفوذ والمضيّ في الشيء..

ومن الباب: عَبَرَ الرُّؤْيَا يعبرها عَبْرًا وعِبارةً، ويُعَبَّرُها تعبيرًا، إذا فسرّها. ووجه القياس في هذا عُبُور النّهر؛ لأنه يصير من عبّر إلى عبّر ^(٣). كذلك مفسّر الرُّؤْيَا يأخذُ بها من وجهٍ إلى وجهٍ؛ كأن يُسأل عن الماء، فيقول: حياة. ألا تراه قد عَبَرَ في هذا من شيءٍ إلى

(١) بيان تلبّيس الجهمية ١/١٥٩. (٢) اللباب في علوم الكتاب ١١/١٨.

(٣) عبّر الوادي - بفتح العين وكسرهما -: شاطئه وناحيته.

شيء؟ اهـ^(١).

وقال في «تاج العروس» من «جواهر القاموس»^(٢): «العابر: الذي يَنْظُرُ في الكِتَابِ فيَعْبُرُهُ؛ أي: يَعْتَبِرُ بَعْضَهُ بَبَعْضٍ حَتَّى يَقَعَ فَهْمُهُ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: عَبَرَ الرَّؤْيَا، وَاعْتَبَرَ فَلَانٌ كَذَا. وَقِيلَ: أَخَذَ هَذَا كُلَّهُ مِنَ الْعَبْرِ، وَهُوَ جَانِبُ النَّهْرِ، وَهُمَا عِبْرَانِ؛ لِأَنَّ عَابَرَ الرَّؤْيَا يَتَأَمَّلُ نَاحِيَتَيْ الرَّؤْيَا، فَيَتَفَكَّرُ فِي أَطْرَافِهَا، وَيَتَدَبَّرُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا، وَيَمْضِي بِفِكْرِهِ فِيهَا مِنْ أَوَّلٍ مَا رَأَى النَّائِمُ إِلَى آخِرٍ مَا رَأَى». اهـ.

وقال ابن الأثير رحمه الله تعالى: العابر: الناظر في الشيء، والمعتمر: المُسْتَدِلُّ بِالشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ. اهـ^(٣).

وقال الحافظ رحمه الله تعالى: التَّعْبِيرُ خَاصٌّ بِتَفْسِيرِ الرَّؤْيَا، وَهُوَ الْعُبُورُ مِنْ ظَاهِرِهَا إِلَى بَاطِنِهَا. اهـ^(٤).

فقد ظهر من اشتقاق كلمة التعبير أنه لا يُمكن لأيِّ مُعَبِّرٍ أَنْ يُعَبِّرَ الرَّؤْيَا دُونَ تَأَمُّلٍ فِيهَا، وَرَبِطَ رَمُوزَهَا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِمُعَبِّرٍ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ وَغَيْرِهِمْ.

فالمعبر ناظرٌ ومُستدلٌّ، وهذا عملٌ وكسبٌ، وسيأتي أَنَّ هَذَا مِنَ الْأَوْجِهَةِ الَّتِي تَرُدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ التَّعْبِيرَ إِلهَامٌ، فَالْإلهَامُ لَا يَكُونُ فِيهِ كَسْبٌ وَلَا عَمَلٌ.

وفيه أيضًا ردٌّ على مَنْ يزعم أَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ فِي تَعْبِيرِهِ إِلَى أَنْ يَتَأَمَّلَ فِي الرَّؤْيَا، وَيَرْبِطَ بَيْنَ رَمُوزِهَا، بَلْ إِنَّهُ يُلْهِمُ التَّعْبِيرَ إِلهَامًا، فَيُلَوِّحُ لَهُ التَّعْبِيرَ كَالنُّورِ!

فهذا لَا يَجُوزُ سُؤَالُهُ عَنِ تَعْبِيرِ الرَّؤْيَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مُعَبِّرًا، بَلْ إِمَّا

(١) مقاييس اللغة: مادة: (عبر) ١٧١/٤. (٢) ٥٠١/١٢، مادة: (عبر).

(٣) النهاية: مادة: (عبر). (٤) فتح الباري ٣٥٢/١٢.

دَجَالٌ، أو يتعامل مع القرين، أو أنه يُعاني من مسّ، عِلْمٌ أو لم يَعْلَمْ.
أما تعريف المُعَبِّر في الاصطلاح، فلم أقف على مَنْ عَرَفَه تعريفًا
جامعًا مانعًا، والذي يظهر لي أن يُقال: هو الفطنُ العالمُ بأصول التعبير
وطُرُقَه، ويصُيب في الغالب.

○ شرح التعريف:

الفطنُ: أخرج البليد وقليل الفهم، فمثله لا يُمكن أن يكون مُعَبِّرًا
ولو كان كثير العلم والمعرفة.

العالمُ بأصول التعبير وطُرُقَه: أخرج الجاهل، فمثله لا يكون
مُعَبِّرًا، لفقده الآلية التي تُؤَهِّله للتعبير.

وأخرج العالم بعلوم كثيرة لكنه يجهل أصول التعبير وطُرُقَه، فمن
المعلوم أنه لا يلزم أن يكون العالم مُعَبِّرًا.

وأخرج الذي يُعَبِّر ويصُيب، لكنه ليس عن علم بأصول التعبير، بل
عن طريق الكهانة أو الجن.

علمًا أنه ليس المقصود بالعلم بأصول التعبير وطرقه أن يكون عن
دراسة وقراءة، بل قد يُكتسب من طرق أخرى؛ ككثرة الخبرة والتجارب،
ومُجالسة المعبرين المُبرِّزين، وكثرة التأمل بتعبير الأنبياء والصالحين.

يُصِيب في الغالب: أخرج الذي يغلب عليه الخطأ، فهذا لا يُعدّ
مُعَبِّرًا.

تنبيه: يُنكر بعضُ المعاصرين على بعض الناس قوله: فسّر رؤيائي،
ولا وجه لإنكار ذلك، فائمة أهل اللغة يقولون: عَبَّرَ الرُّؤْيَا فسَّرَهَا، ولو
كانت هذه الكلمة خطأ ما استعملوها وهم أهل الشأن والاختصاص.

وكذلك استعملها الكثير من العلماء؛ كالنووي رَحِمَهُ اللهُ حيث قال في

قوله ﷺ في الرؤيا المكروهة: «ولا يحدث بها أحداً» فسببه أنه ربما فسرها تفسيراً مكروهاً على ظاهر صورتها.. إلخ. اهـ^(١).

٣ - مَعْنَى الرُّؤْيَا: الرؤيا في اللغة ما رأيته في منامك، ورأى في منامه رؤياً، على وزن فُعْلَى بلا تنوين، وجمع الرؤيا: رُؤًى بالتنوين. أما الرؤية فهي رؤية العين.

وذهب بعض أهل اللغة إلى أنهما بمعنى واحد، واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

فقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بها ما أراه الله تعالى ليلة الإسراء.

وروى البخاري^(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: «هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ».

قال الرازي رحمه الله: واختلفوا في معنى هذه الرؤيا، فقال الأكثرون: لا فرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة، يقال: رأيت بعيني رؤية ورؤيا. اهـ^(٣).

٤ - مَعْنَى الْحُلْمِ فِي اللُّغَةِ: ما يراه النائم في منامه.

والرؤيا والحلم كل ما يراه النائم في نومه، لكن غَلَبَتِ الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغَلَبَ الحلم على ما يراه من الشر والقبیح.

والصواب أن يُقال: حَلَمَ بالفتح، لا تَحَلَّمَ، فالمتحَلِّم هو من ادَّعى

(٢) (٣٨٨٨).

(١) شرح صحيح مسلم ٤٥٠/٧.

(٣) تفسير الرازي، ص ٢٨٢٥.

الرؤيا كاذبًا، كما في البخاري^(١): «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلَّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ».

أي: «قال إنه رأى في النوم ما لم يره».

يقال حَلَمَ بالفتح إذا رأى، وَتَحَلَّمَ إذا ادَّعى الرؤيا كاذبًا^(٢).

٥ - مَعْنَى الْإِلْهَامِ فِي اللُّغَةِ: مصدر ألهم، وهو أَنْ يُلقَى في نفس الإنسان أمرٌ أو علمٌ، بلا اكتساب منه أو فكر، هكذا قال أهل اللغة وغيرهم، ولم أقف على من خالف في ذلك من المتقدمين.

قال ابن فارس رحمه الله تعالى: اللام والهاء والميم، أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ابتلاع شيء، ثم يقاس عليه. تقول العرب: التَّهَمَ الشَّيْءُ: التَّقَمَهُ. ومن هذا الباب الإلهام؛ كأنه شيءٌ أُلْقِيَ في الرُّوعِ فَالتَّهَمَهُ. قال الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨]. اهـ^(٣).

وقال الجرجاني رحمه الله تعالى: الإلهامُ ما يُلقى في الرُّوعِ بطريق الفيض.

وقيل: الإلهام ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل، من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة، وهو ليس بحجةٍ عند العلماء. اهـ^(٤).

تأمل قوله: ليس بحجةٍ عند العلماء! وهؤلاء المعبرون يقولون: نحن نُعبرُ بِالْإِلْهَامِ من الله! فوافقوا الصوفيَّة، وخالفوا علماء السُّنَّة.

وجاء في «المعجم الوسيط»: الإلهام: إيقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر، يخص الله به بعض أصفياه، وما يلقي في القلب من معان وأفكار. اهـ^(٥).

(٢) جامع غريب الحديث ١/١٩٢.

(١) (٧٠٤٢).

(٣) معجم مقاييس: مادة: (لهم) ٤/٢١٧. (٤) التعريفات: رقم (٢٠١).

(٥) المعجم الوسيط ٢/٨٤٢.

«فالعلوم والمكاشفات هي أن يلقي في قلبه شيء من العلم إلقاءً من الله جل وعلا، أو يكشف له عن أمر خفي إما بعيد أو مستقبل»^(١).

وقد وافق علماء الشريعة علماء اللغة في ذلك، جاء في التعبير شرح التحرير^(٢): «الإلهام: ما حرك القلب بعلم يدعوك إلى العمل به، من غير استدلال ولا نظر في حجة».

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: الصحيح: أن الفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل، وأما الإلهام فموهبة مجردة، لا تُنال بكسب البتة. اهـ^(٣).

ووجدت عبارةً مؤهمةً للطاهر ابن عاشور رحمه الله تعالى حيث قال: «يطلق الإلهام إطلاقاً خاصاً على حدوث علم في النفس بدون تعليم ولا تجربة ولا تفكير، فهو علم يحصل من غير دليل». اهـ^(٤).

والإلهام كما قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله تعالى: «اسمٌ قليلُ الورد في كلام العرب، وَلَمْ يَذْكُرْ أَهْلُ اللُّغَةِ شَاهِدًا لَهُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ..»

وَلِذَلِكَ فَهَذَا اللَّفْظُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ يَكُنْ مِمَّا أَحْيَاهُ الْقُرْآنُ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ دَقِيقُ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعَانِي النَّفْسِيَّةِ، وَقَلِيلٌ رَوَّاجٌ أَمْثَالِ ذَلِكَ فِي اللُّغَةِ». اهـ^(٥).

(١) شرح العقيدة الواسطية، للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان حفظه الله تعالى، ص ١٣.

(٢) ٧٨٤/٢.

(٣) مدارج السالكين ٤٨/١.

قال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى: وَأَمَّا إِطْلَاقُ الْإِلْهَامِ عَلَى عِلْمٍ يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ بِدُونِ مُسْتَنَدٍ فَهُوَ إِطْلَاقُ اضْطِلَاحِيٍّ لِلصُّوفِيَّةِ.. اهـ. [التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٦٩ - ٣٧٠].

(٥) التحرير والتنوير ٣٠/٣٦٩.

(٤) التحرير والتنوير ٣٠/٣٦٩.

علمًا أنَّ هذه الكلمة لم ترد في القرآن إلا في موضع واحد في القرآن، وهي في سورة الشمس، في قوله تعالى بعد أن أقسم بالأنفس: ﴿فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨].

والمعنى: ألقى الله تعالى في نفوس الناس الخير والشر، وغرس في فطرهم التفريق بينهما، ومحبة الخير وهو التقوى، وكراهة الشر وهو الفجور، فهذا ما لا يملكه أحدٌ سَلِمَتْ فطرته؛ كقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

ثم إنَّه تعالى جعل عبده يختار ما يشاء من الفجور والتقوى، فإن اختار الفلاح زكى نفسه بالطاعة والهداية، وإن اختار الخسارة دساها بالمعاصي والفجور.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: يقول تعالى ذكره: فبين لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير أو شرٍّ، أو طاعة أو معصية. اهـ^(١).

وأما السُّنة فلم أقف على شيءٍ من ذلك، سوى حديثٍ ضعيف عند الترمذي وغيره جاء فيه: «اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي».

وجاء عند الإمام أحمد^(٢) في صفة أهل الجنة: «وَيُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ».

وعند الطبراني^(٣): «وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُلْهَمَهُ ذِكْرَهُ».

والفرق بين الإلهام والوسوسة: أنَّ ما كان فيه خير فهو إلهام، وما كان فيه شر فهو وسوسة، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ٧ ﴿فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ٨ [الشمس: ٧ - ٨] فَهُوَ

(٢) (١٤٧٦٩).

(١) تفسير الطبري ٢٤/٤٥٤.

(٣) (١٨٥٧).

سُبْحَانَهُ يُلْهِمُ الْفُجُورَ وَالتَّقْوَى لِلنَّفْسِ، وَالْفُجُورُ يَكُونُ بِوَاسِطَةِ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ الْهَامُّ وَسَوَاسٍ، وَالتَّقْوَى بِوَاسِطَةِ مَلَكٍ، وَهُوَ الْهَامُّ وَحِيٍّ . . . وَقَدْ صَارَ فِي الْعُرْفِ لَفْظُ الْإِلْهَامِ إِذَا أُطْلِقَ لَا يُرَادُّ بِهِ الْوَسْوَسةُ . وَهَذِهِ الْآيَةُ مِمَّا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْهَامِّ الْوَحِيِّ وَبَيْنَ الْوَسْوَسةِ .

فَالْمَأْمُورُ بِهِ إِنْ كَانَ تَقْوَى اللَّهِ فَهُوَ مِنْ الْهَامِّ الْوَحِيِّ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْفُجُورِ فَهُوَ مِنْ وَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ .

فَيَكُونُ الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِلْهَامِ الْمَحْمُودِ وَبَيْنَ الْوَسْوَسةِ الْمَذْمُومَةِ هُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَإِنْ كَانَ مِمَّا أُلْقِيَ فِي النَّفْسِ مِمَّا دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى أَنَّهُ تَقْوَى لِلَّهِ فَهُوَ مِنَ الْإِلْهَامِ الْمَحْمُودِ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ فُجُورٌ فَهُوَ مِنَ الْوَسْوَسةِ الْمَذْمُومِ، وَهَذَا الْفَرْقُ مُطَرِّدٌ لَا يَنْتَقِضُ . اهـ^(١) .

○ [أهمية الرؤى ومكانتها]:

للرؤى مكانة كبيرة، ومنزلة شريفة، قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى عند تفسير سورة يوسف: ومنها - أي من العبر والفوائد التي اشتملت عليها هذه القصة العظيمة - فضيلة العلم؛ علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية . . . وقال: فإن علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله من يشاء من عباده». اهـ .

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى عن الرؤيا: «والرؤيا هي فعل النفس الناطقة، ولو لم تكن لها حقيقة، لم تكن لإيجاد هذه القوة

في الإنسان فائدة، والله تعالى يَتَعَالَى عن الباطل» اهـ^(١).
 وصدق رَحِمَهُ اللهُ، فالرُّؤْيَى عالمٌ غيبيٌّ آخر، ويجد الناس لها على
 اختلافٍ مللهم وَنَحْلِهِمْ وَقَعًا وتأثيرًا، وخوفًا أو فرحًا.

وَمِمَّا يَبِينُ أَهْمِيَّتَهَا وَمَكَانَتَهَا مَا يَلِي:

أولاً: أَنَّ الله تعالى قد أكثر من ذكرها في كتابه، قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ﴾ [الأنفال: ٤٣].

وقال في قصة إبراهيم الخليل رَحِمَهُ اللهُ: ﴿يَبْنِي إِلَيَّ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

وقال تعالى حكاية عن يوسف رَحِمَهُ اللهُ: ﴿يَا بَنِي إِدْرِي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وقال رَحِمَهُ اللهُ في دعائه - مُعَدِّدًا نعم الله عليه -: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١]، فجعل علم تعبیر الرؤی من أعظم مَنَنِ الله تعالى عليه.

«وإذا نظرت إلى القرآن وجدت أَنَّ الله تعالى قد قص فيه شيئًا من ذلك، وكأنه سبحانه يدعونا إلى الاهتمام بالرُّؤْيَى وتعبيرها»^(٢).

ثانيًا: أَنَّهُ رَحِمَهُ اللهُ نَبَّهَ على أمر الرؤيا في مرض موته، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النَّبُوءَةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ». رواه مسلم^(٣).

(١) «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، ص ١٤٦.

(٢) ضوابط تعبیر الرؤيا للشيخ أ. د عبد الله الطيار ص ١.

(٣) (٤٧٩).

ومعنى كونها مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ: «أَيُّ مَنْ أَوَّلَ مَا يَبْدُو مِنْهَا، مَأْخُودٌ مِنْ تَبَاشِيرِ الصُّبْحِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَبْدُو مِنْهُ، وَهُوَ كَقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ»^(١).

فانظر إلى هذا الاهتمام بأمر المنام، في آخر حياة رسول الأنام عليه الصلاة والسلام، فهل يليق بمؤمن بعد ذلك أَنْ يُقَلَّلَ مِنْ شَأْنِ الرُّؤْيَى والأحلام، ويرى أَنَّ العناية بها مضيعةٌ للوقت؟^(٢)

ثالثاً: أنها جزءٌ من النبوة، فقد ثبت في «الصحيحين»^(٣) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ».

«وتخصيص الجزء بستة وأربعين جزءاً من الأمور التوقيفية التي لا تعلم حكماتها كأعداد الركعات والصلوات»^(٤).

رابعاً: أنها مَبْدَأُ الْوَحْيِ، فقد ثبت في «الصحيحين»^(٥) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ.

خامساً: أنها تدلُّ على أَنَّ الْعَالَمَ يسير وفق نظامٍ دقيق، وأنَّ هذا النظام له مُدَبِّرٌ حكيم خبير عظيم، ووجه دلالة الرؤى وتعبيرها على ذلك:

التناسبُ العجيب الدقيق بين الرؤى والتعبير الصحيح، فحينما يرى الرائي رؤيا، فالملك الذي رسمها له في خياله لم يرسمها عبثاً، بل هو

(١) نيل الأوطار ٢/ ٢٨٨.

(٢) يُنظر: المدخل لعلم تعبير الرؤيا، ص ٥٠.

(٣) البخاري (٦٩٨٧)، ومسلم (٢٢٦٤). (٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ٣٢٨.

(٥) البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

يحكي له ما يعيشه في واقعه، إما لإنذاره أو تبشيره أو زيادة إيمانه، والتعبير الصحيح يكون مُتناسِبًا مُطَرَّدًا، لا يأتي تخمينًا وتخرُّصًا، بل إنَّ المعبر النابغ العارف ينكشف له واقع الرائي كروية العين، وهذا والله من آيات الله التي تزيد الرائي والمعبر إيمانًا و يقينًا.

فالله تعالى سيّر الكون بنظام دقيق، ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَلِيلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

وليس هذا النظام العجيب في الكون فحسب، بل حتى في المنام، فالإنسان يرى الرؤيا التي لها دلالات ومقاصد صحيحة واقعية، فإذا وُفق لمعبر عارف يضع النقاط على الحروف، فيُخبره بأن رؤياك تدل على كذا وكذا، ثم يشرح - بما وُفقه الله تعالى من الفهم - واقعه وحياته، أو مشاكله وهمومه، أو غيبه ومستقبله، فيقع كما قال!

أليس هذا من آيات الله تعالى الدالة على عظمته وسلطانه؟ وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

سادسًا: أنَّ الرّؤى - التي هي جزء من النبوة - لهي من عظيم أمر الله، ويُستدل بها على عذاب ونعيم القبر، حيث يجد النائم لذة أو ألمًا وهو في فراشه، ويستيقظ وهو يُحسّ ويشعرُ بها؛ لأنَّ حياته في منامه حياةٌ رُوحيةٌ لا بدنيةٌ؛ كذلك الحال في القبر، اللذة والعذاب على الروح والبدن.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: والنوم أخو الموت، ولهذا كان النبي ﷺ يقول إذا أوى إلى فراشه: «باسمك اللهم أموت وأحيا». وكان إذا استيقظ يقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أمتنا، وإليه النُّشور».

فقد سمى النوم موتًا والاستيقاظ حياةً.

والنائمُ يَحْصُلُ له في منامِهِ لَذَّةٌ وأَلَمٌ، وذلك يَحْصُلُ للروح والبدن، حتى إنه يَحْصُلُ له في منامِهِ من يَضْرِبُهُ، فيُصْبِحُ والوجعُ في بدنِهِ، ويرى في منامِهِ أنه أَطْعَمَ شَيْئًا طَيِّبًا، فيُصْبِحُ وَطْعُمُهُ في فَمِهِ، وهذا موجود، فإذا كان النائمُ يَحْصُلُ لروحِهِ وبدنِهِ من النعيم والعذاب ما يُحِسُّ به والذي إلى جَنْبِهِ لا يُحِسُّ به، حتى قد يَصِيحُ النائمُ من شِدَّةِ الأَلَمِ والفرع الذي يَحْصُلُ له ويسمع اليقظانُ صياحَهُ، وقد يتكَلَّمُ إمَّا بقرآن وإمَّا بذكرٍ وإمَّا بجواب، واليقظان يسمع ذلك وهو نائم عَيْنُهُ مُغْمَضَةٌ، ولو خُوطِبَ لم يَسْمَعْ، فكيف يُنْكَرُ حالُ المقبور الذي أَخْبَرَ الرسولُ بأنه يَسْمَعُ قرعَ نعالِهِم، وقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

ولا يجوز أن يقال: ذلك الذي يجده الميت من النعيم والعذاب مثلُ ما يجده النائمُ في منامِهِ، بل ذلك النعيم والعذاب أكملٌ وأبلغٌ وأتمُّ، وهو نعيمٌ حقيقي وعذابٌ حقيقي، ولكن يُذكر هذا المثل لبيان إمكانِ ذلك إذا قال السائل: الميتُ لا يتحرك في قبرِهِ، أو الترابُ لا يتغير، ونحو ذلك. اهـ^(١)..

سابعًا: أنها من أقسام الوحي - كما سيأتي تفصيلُهُ إن شاء الله - .
قال النووي في قولِ الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١]: وَلَكِنَّ الْجُمْهُورَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَحْيِ هُنَا الْإِلْهَامَ وَالرُّؤْيَا فِي الْمَنَامِ، وَكِلَاهُمَا يُسَمَّى وَحْيًا. اهـ^(٢) .

وقد نصَّ شيخ الإسلام رحمه الله تعالى على أنَّ الرؤيا وحيٌّ من الله ﷻ، حيث قال: مَا يُلْقِيهِ اللَّهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِلْهَامَاتِ الصَّادِقَةِ الْعَادِلَةِ هِيَ مِنْ وَحْيِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ مَا يُرِيهِمْ إِيَّاهُ فِي الْمَنَامِ، قَالَ

(١) مجموع الفتاوى ٢٧٦/٤، جامع المسائل ٢٣٧/٤ - ٢٣٨.

(٢) شرح مسلم ٣١٢/١.

عبادة بِنُ الصَّامِتِ: رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ كَلَامٌ يُكَلِّمُ بِهِ الرَّبُّ عَبْدَهُ فِي مَنَامِهِ. اهـ^(١).

وَالْوَحْيُ نَوْعَانِ:

الأول: وَحْيُ نَبْوَةٍ، وهذا خاصٌّ بالأنبياء.

الثاني: وَحْيُ إلهام، وهذا يقع لهم ولغيرهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّنَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة: ١١١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧].

بَلْ قَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

فَهَذَا الْوَحْيُ يَكُونُ لِغَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَيَكُونُ يَقْظَةً وَمَنَامًا^(٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: إِذَا كَانَ مَا يُوحِيهِ إِلَى عِبَادِهِ تَارَةً يَكُونُ بَوَسَاطَةِ مَلَكٍ وَتَارَةً بغيرِ وَسَاطَةٍ فَهَذَا لِلْمُؤْمِنِينَ كُلِّهِمْ مُطْلَقًا لَا يَخْتَصُّ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] وَإِذَا كَانَ قَدْ قَالَ: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] فَذَكَرَ أَنَّهُ يُوحِي إِلَيْهِمْ، فَإِلَى الْإِنْسَانِ أَوَّلَى. اهـ^(٣).

ولكن هنا أمرٌ مهمٌ جدًا نبّه عليه شيخ الإسلام بقوله: لَكِنْ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُطْلَقَ الْقَوْلُ عَلَى مَا يَقَعُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ وَحْيٌ لَا فِي يَقْظَةٍ وَلَا فِي الْمَنَامِ إِلَّا بِدَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ الْوَسْوَاسَ غَالِبٌ عَلَى النَّاسِ. اهـ^(٤).

ثامناً: أنها تكون سبباً في تثبيت المؤمنين، وهداية الضالين، وتفريج همّ المهمومين، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وَهِيَ - أَيِ:

(٢) يُنْظَرُ فِتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَام ٣٩٨/١٢.

(١) مَجْمُوعُ الْفِتَاوَى ٩٨/١٥.

(٤) مَجْمُوعُ الْفِتَاوَى ٥٣٢/١٧.

(٣) مَجْمُوعُ الْفِتَاوَى ٥٢٨/١٧ - ٥٢٩.

الرُّؤْيَا - عِنْدَ اقْتِرَابِ الزَّمَانِ لَا تَكَادُ تُحْطَى، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَذَلِكَ لِبُعْدِ الْعَهْدِ بِالنُّبُوَّةِ وَأَثَارِهَا، فَيَتَعَوَّضُ الْمُؤْمِنُونَ بِالرُّؤْيَا، وَأَمَّا فِي زَمَنِ قُوَّةِ نُورِ النُّبُوَّةِ فَفِي ظُهُورِ نُورِهَا وَقُوَّتِهِ مَا يُغْنِي عَنِ الرُّؤْيَا. اهـ (١).

وقد حدثني من أثق به أنه كان يُدخن كثيراً، فعزم على تركه فشق ذلك عليه، ولم يستطع مع مرور الأيام أن يصبر عنه، فرأى في المنام أن يُدخن الكثير من السجائر، فلما استيقظ من نومه شعر بعدم الحاجة إلى الدخان، وأحس بذهاب نهمه، وزوال شهوته منه، ثم بعد أيام شعر بشدة الشهوة إلى الدخان، فرأى في منامه أنه يدخن حتى شبع، فاستيقظ وهو لا يحس بأي شهوة للدخان، وتكرر عليه المنام مراراً حتى تركه إلى هذا اليوم.

○ [الاهتمام بتعبير الرؤيا]:

كان ﷺ كثيراً ما يسأل أصحابه عن رؤاهم، بل إنه يُبادر إلى سؤالهم بعد انتهاء الصلوات المفروضة، فقد روى البخاري في «صحيحه» (٢)، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ فَصَّهَا، فَيَقُولُ: «مَا شَاءَ اللَّهُ».

وفي «صحيح مسلم» (٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ مِمَّا يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا فَلْيَقْصَّهَا أَعْبُرْهَا لَهُ».

ولماذا كان يُكثر من سؤالهم عن رؤاهم؟

لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَظِيمِ شَأْنِهَا وَعَجِيبِ أَمْرِهَا.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: وَفِي الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى عِلْمِ

(٢) (١٣٨٦).

(١) مدارج السالكين ١/ ٧٤.

(٣) (١٧).

الرُّؤْيَا وَالسُّؤَالَ عَنْهَا وَتَأْوِيلَهَا. اهـ^(١).

وقال الحافظ رحمه الله تعالى: فِيهِ الْإِهْتِمَامُ بِأَمْرِ الرُّؤْيَا بِالسُّؤَالَ عَنْهَا وَفَضْلُ تَغْيِيرِهَا وَاسْتِحْبَابُ ذَلِكَ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ؛ لِأَنَّهُ الْوَقْتُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْبَالُ مُجْتَمِعًا. اهـ^(٢).

فقد «كان شأن الرؤيا عنده ﷺ عظيمًا، فلذلك كان يسأل عنها كل يوم، وذلك من أخبار الملكوت من الغيب، ولهم في ذلك نفع في أمر دينهم، بُشِّرَى كَانَتْ أَوْ نَذَارَةً أَوْ مَعَابَةً»^(٣).

بل كان الصحابةُ والسلف الصالح رحمهم الله تعالى يعتنون بالرؤيا اعتناءً كبيرًا، ففي «الصحيحين» عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٤).

قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله - في رؤية عائشة رضي الله عنها؛ كَأَنَّ فِي حَجَرِهَا ثَلَاثَةَ أَقْمَارٍ، فَقَصَّتْ ذَلِكَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: إِنَّ صَدَقْتَ رُؤْيَاكَ، يُدْفَنُ فِي بَيْتِكَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةً -.

قال: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى اشْتِغَالِ أَنْفُسِ السَّلَفِ بِالرُّؤْيَا وَتَأْوِيلِهَا. اهـ.

ولو جاءت إلى أحدنا رسالة من ملكٍ من ملوك الدنيا لاهتمَّ بها، وقرأها مرارًا وبعناية، وبحث عن قصده ومغزاه منها، ولو كانت بلغة غير لغته لقام بترجمتها، فلماذا يُهمل الكثير من الناس رسالة ملك الملوك إليه، الذي جاء بها الملك الكريم، وقد يُكرر إرسالها له مرارًا كي يُوصل الرسالة، ثم لا يُلقِي لها بالاً؟

(١) شرح مسلم ٤٦٥/٧.

(٢) فتح الباري ٥٢/٢٠.

(٣) فيض القدير ١٤٦/٥.

(٤) البخاري (١١٢١)، ومسلم (٢٤٧٩).

ولكن لا يعني ذلك التّهافت وراء المعبرين عند كلّ رؤيا، ولا يعني ذلك أنّ يكون شغل المسلم تعبير أحلامه.

ومن شدة لهث بعضهم، أنه لا يقتصر على مُعَبِّر واحد عارف، بل يسأل الكثير عن رؤيا واحدة، وهذا من الخطأ.

○ [علم تعبير الرؤيا علمٌ قديمٌ عريق]:

قال نصر بن يعقوب القادري رحمه الله تعالى: «قال المعبرون من المسلمين: علمُ الرؤيا هو العلم الأول منذ ابتداء العالم، لم يزل عليه الأنبياء والرسل ﷺ، يأخذون ويعملون عليه. اهـ^(١)».

وقال ابن خلدون - رحمه الله تعالى - في مقدمته^(٢): «هذا العلم من العلوم الشرعية، وهو حادث في الملة عندما صارت العلوم صنائع، وكتب الناس فيها، وأما الرؤيا والتعبير لها فقد كان موجوداً في السلف، كما هو في الخلف، وربما كان في الملوك والأمم من قبل، إلا أنه لم يصل إلينا للاكتفاء فيه بكلام المعبرين من أهل الإسلام، وإلا فالرؤيا موجودة في صنف البشر على الإطلاق، ولا بدّ من تعبيرها». اهـ.

وقال الراغب رحمه الله تعالى عن الرؤيا: «وقد عظم الله أمرها في جميع الكتب المنزلة». اهـ^(٣).

وذكر الرازي رحمه الله تعالى «أَنَّ جَمِيعَ أَرْبَابِ الْمِلَلِ وَالْأَدْيَانِ مُطَبِّقُونَ عَلَى صِحَّةِ عِلْمِ التَّعْبِيرِ، وَأَنَّ الْمُعَبِّرَ قَدْ يُخْبِرُ عَنْ وَقُوعِ الْوَقَائِعِ الْآتِيَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَيَكُونُ صَادِقًا فِيهِ». اهـ^(٤).

(١) التعبير في الرؤيا ١/ ١٠٤.

(٢) ١٦٥/٢.

(٣) «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، ص ١٤٦.

(٤) مفاتيح الغيب ٣٠/ ٦٧٩.

○ [علم التعبير كان يُدرّسُ كغيره من العلوم]:

هذا العلم الشريف كان للعلماء فيه اهتمامٌ كبيرٌ، وكانوا يأخذونه عن شيوخهم، ولا يستغنون بالكتب دونهم.

قال شهاب الدين النفراوي رحمه الله تعالى: مَنْ لَا مَعْرِفَةَ لَهُ بِعِلْمِ التَّأْوِيلِ لَا يَجُوزُ لَهُ التَّعْبِيرُ اعْتِمَادًا عَلَى مُجَرَّدِ مَا يَرَاهُ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ، كَمَا لَا يَجُوزُ الْإِفْتَاءُ بِالْاعْتِمَادِ عَلَى الْمُسَطَّرِ فِي الْكُتُبِ مِنْ غَيْرِ أَخْذٍ عَنِ شُيُوخِ الْعِلْمِ اهـ^(١).

فأثبت أنّ لهذا العلم شيوخًا كما هو الشأن في العلوم الأخرى. وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى، أنّ علم تعبیر الرؤيا كان ممّا يُدرّس ضمن المناهج الشرعيّة، حيث قال وهو يُعدّد بعض جرائم هولاءكو: وَبَدَلْتُ بَعْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، بِالنَّعَمَاتِ وَالْأَلْحَانِ، وَإِنْشَادِ الْأَشْعَارِ وَكَانَ وَكَانَ، وَبَعْدَ سَمَاعِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، بِدَرَسِ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ، وَالْمَنَاهِجِ الْكَلَامِيَّةِ، وَالتَّأْوِيلَاتِ الْقُرْمَطِيَّةِ.. وَبَعْدَ الْإِشْتِعَالِ بِفُنُونِ الْعِلْمِ مِنَ التَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ، وَالْحَدِيثِ وَتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، بِالزَّجَلِ وَالْمَوْشَحِ وَدُوبَيْتِ وَمَوَالِيَا، وَمَا أَصَابَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ اهـ^(٢).

ولا غرو في ذلك، فقد كان ﷺ يُكثر من سؤال الصحابة عن رؤاهم، وما ذلك إلا لعظم شأنها كما تقدّم، ولأمرٍ آخر أيضًا، وهو تعلّمهم كيفية تعبیر الرؤيا.

قال العلماء في قولِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟»: إنما

(١) الفواكه الدواني ٣٤٨/٢.

(٢) البداية والنهاية ٣٩٧/١٣.

كان يسأل عنها لِيُقَصَّ عليه وَيَعْبُرُهَا؛ لِيُعَلِّمَ أصحابه كيف الكلام في تأويلها .

نصّ على ذلك ابن عبد البرّ النووي والقرطبي وغيرهم رحمهم الله ^(١) .

قال ابن عبد البرّ رحمه الله تعالى: هذا الحديث يدل على شرف علم الرؤيا وفضلها؛ لأنه لم يكن ﷺ يقول إذا انصرف من صلاة الغداة: «هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا» إلا لِيُقَصَّها عليه وَيَعْبُرُهَا؛ ليتعلم أصحابه كيف الكلام في تأويلها، وذلك دليل على فضل عبارة الرؤيا وشرف علمها. اهـ ^(٢) .

بل كان ﷺ يُتيح تعبير الرؤى لبعض أصحابه؛ ليتعلموا التعبير والتأويل، فعن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَصَّ عَلَيْهِ رُؤْيَا رَأَاهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ، وَاللَّهِ لَتَدْعَنِي فَأَعْبُرَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اعْبُرْهَا» .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: فِيهِ الْحَثُّ عَلَى تَعْلِيمِ عِلْمِ الرُّؤْيَا، وَعَلَى تَعْبِيرِهَا وَتَرْكِ إِغْفَالِ السُّؤَالِ عَنْهُ، وَفَضِيلَتِهَا؛ لِمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الإِطْلَاعِ عَلَى بَعْضِ الْغَيْبِ، وَأَسْرَارِ الْكَائِنَاتِ. اهـ ^(٣) .

فهذا نقلٌ صريحٌ من هذا العلم الكبير على أنه ينبغي تَعْلِيمُ عِلْمِ الرُّؤْيَا ^(٤)، فما هي أدلة المعترضين على إمكانية تعليم علم التعبير؟

(١) الاستذكار ٤٥٦/٨، شرح مسلم ٤٦٥/٧، «المفهم» (٢٩/٦).

(٢) الاستذكار ٤٥٦/٨. (٣) الفتح ١٦٥/١٢.

(٤) وقد كان علامة هذا الزمان في علم التعبير الشيخ يوسف المطلق رحمه الله تعالى يُعَلِّمُ تلاميذه كيفية التعبير، كما نقل ذلك ابنه الدكتور عبد المجيد [في حوار مع الدكتور فهد العصيمي في قناة بداية، وقال ذاك كذلك الدكتور فهد، حيث حضر عنده وهو =

فَعِلْمُ التَّعْبِيرِ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يُثَابُ الْإِنْسَانُ عَلَى تَعَلُّمِهَا، قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: «إِنَّ عِلْمَ التَّعْبِيرِ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَيُثَابُ الْإِنْسَانُ عَلَى تَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ»^(١).

وَمِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى إِمْكَانِيَّةِ تَعَلُّمِهِ: الْوَاقِعُ، فَجَدَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَاعٌ فِي التَّعْبِيرِ، أَصْبَحُوا مِنْ كِبَارِ الْمُعْبِرِينَ، بَعْدَ أَنْ عَكَفُوا عَلَى هَذَا الْعِلْمِ دِرَاسَةً وَفَهَمًا.

وَمِنَ أَشْهُرِ النَّمَاذِجِ فِي ذَلِكَ: ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ الْعَرُوضِيُّ: كَانَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ يَتَرَدَّدُ إِلَى أَوْلَادِ الرَّاضِي بِاللَّهِ، فَسَأَلْتُهُ جَارِيَةً عَنْ تَفْسِيرِ رُؤْيَا فَقَالَ: أَنَا حَاقِنٌ، وَمَضَى.

فَلَمَّا عَادَ مِنَ الْغَدِ عَادَ وَقَدْ صَارَ عَابِرًا! مَضَى مِنْ يَوْمِهِ فِدْرَسَ كِتَابِ الْكِرْمَانِيِّ^(٢).

وَمِنَ النَّمَاذِجِ كَذَلِكَ: الشَّيْخُ الْمُعَبِّرُ نَادِرُ زَيْنِ الدِّينِ، صَاحِبُ كِتَابِ: «الْمَدْخَلُ إِلَى عِلْمِ تَأْوِيلِ الرُّؤْيَا»^(٣).

= يَفْعَلُ ذَلِكَ] حَيْثُ يَقُولُ: لَهُ جُلُوسَاتٌ مَعَ تَلَامِيذِهِ، وَيَعْرُضُ عَلَيْهِمُ الرُّؤْيَى، وَيُعْطِيهِمْ فُرْصَةً لَهُمْ لِيَتَدَرَّبُوا وَيَتَعَلَّمُوا عِلْمَ التَّعْبِيرِ. اهـ.

«وَهَذَا الْعَالَمُ الْمَشْهُورُ فِي تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا لَوْ سَأَلْتُ عَنْهُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ لَوَجَدْتُ أَنَّهُ يُخْطِئُ فِي تَعْبِيرِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يُصِيبُ، وَمَعَ كَثْرَةِ الدَّرَبَةِ وَالْمِرَانِ تَجَدَّدَ قَدْ أَتَقَنَ هَذَا الْعِلْمَ وَتَعَلَّمَهُ» [مِنْ تَعْلِيقَاتِ الشَّيْخِ رَاشِدِ الْبَدَاخِ وَفَقَهُ اللَّهِ].

(١) تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ ٤٠٧/١.

(٢) الْمُنْتَظَمُ ٣١٣/٦، وَيُنْظَرُ: تَارِيخُ الْإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ ٢٤٨/٢٤.

(٣) تَرْجَمَ عَنْ نَفْسِهِ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ، وَمِمَّا جَاءَ فِيهِ: أَنَا مِنْ مَوَالِيدِ عَامِ ١٩٤٨ تَوَفَّى وَالِدِي، وَعَمْرِي سَنَةٌ وَاحِدَةٌ، فَقَامَتْ أُمِّي بِرِعَايَتِي.

وَكَانَ أَوَّلَ عَمَلٍ لِي مَارِسْتَهُ وَأَنَا فِي مُنْتَصَفِ الْمَرْحَلَةِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ هُوَ رِعْيُ الْغَنَمِ فِي إِجَازَةِ الصَّيْفِ. وَمَعَ مَطْلَعِ الْمَرْحَلَةِ الْإِعْدَادِيَّةِ مِنْ دِرَاسَتِي بَدَأْتُ أَعْمَالًا حُرَّةً حَتَّى حَصَلْتُ عَلَى الثَّانَوِيَّةِ الْعَامَّةِ وَسَجَلْتُ فِي الْجَامِعَةِ.

وهو كتابٌ قيّمٌ نافع، ذكر فيه فوائد كثيرة، والرموز المُستنبطة من الكتاب والسُّنّة، وذكر خمسين رؤيا عبّرها وتحقّقت، ومن نظر في دقّة تعبيره واستنباطه وفهمه، علم أنه من المتمكنين في تعبير الرؤيا.

مع ما وقع فيه من الأخطاء التي لا يسلم منها أحد.

ومع ذلك فهو لم تنشأ موهبة التعبير عنده من صغره، وإنما تعلّم التعبير بعد كِبَره، - كما قال في مقدّمته^(١) - : لا أزال أذكر أنني في تلك الأيام لم أرَ منامًا، ولم أسمع أحدًا يقصّ رؤيا، كما أنني لا أزال أذكر أنني لم أسمع أثناء حضوري لمجالس العلم حديثًا يمكن من فهم الآيات الكريمة التي تتحدث عن عالم الجن.

وهكذا فإن هذين العِلْمَيْنِ اللذين يعالجهما هذا الكتاب وهما : علم تأويل الرؤيا، وعلم الجن كانا بعيدين تمامًا عن دائرة ثقافتي من ناحية، وعن اهتمامي الشخصي من ناحية ثانية. اهـ.

ثم ذكر أنه بعد أن عَمَلَ في مجال التعليم، وأمضى عشر سنواتٍ على ذلك، واجه خلالها مصاعب ومشاقّ من جارٍ له يكيد له ويمكر به، فرأى رؤيا عجيبة، فبحث في كتب التعبير فوجد تعبيرها، فعرف من خلالها حقيقة الرجل، فمن حينها التفت إلى تعلّم هذا العلم من مصادره.

ولكن كما سيأتي - بحول الله تعالى - : أنّ الذي يطلب علم التعبير مُتأخراً لا بدّ أن يكون مُلماً بالعلوم الأخرى، فأما أن يكون جاهلاً لا

= وفي أثناء هذه المرحلة كنت أتردد على مجالس العلم التي تُعنى بتفسير القرآن وشرحه، فلما ازداد وعيي وجدت نفسي مدفوعاً إلى الانكباب على المطالعة، فقرأت في شتى أنواع المعارف التي كانت تتاح لي.

علم عنده فهذا من المستحيل أن يتمكن من هذا العلم قبل تعلّمها .
وقد ذكر هو عن نفسه أنه أنفق عمره في مجالس العلم الشرعيّ،
 واجتهادات العلماء، وفيما كتبه المفسرون قبله، وكان قد حفظ القرآن،
وهو مُعلّمٌ للغة العربية.

يقول عن نفسه: «ومن المؤكد أن دراستي الجامعية للغة العربية
كانت نعمة كبرى عليّ، ولم أدرك قيمتها إلا فيما بعد». اهـ.

وكان مُتقنًا للشعر، الأمرُ الذي أكسبه القدرة على التَّخْيِيلِ
والتَّحْلِيلِ، ولذلك قال: «ولعل تجربتي في كتابة الشعر وإلقائه، كان لها
فضل كبير عليّ إذ منحتني هذه القدرة على التخیل، والتي لولاها لم
أستطع أن أتجاوز الواقع الحسي من جهة، وأن أتمكن من ربط
المتباعدات في تأويل الرؤيا في نسيج محكم». اهـ^(١).

فعلم التعبير يُمكن تعلّمه ولو بعد الكِبَرِ، فربما كانت عند الإنسان
مهارةٌ وموهبةُ التعبير، لكنه لم يكتشفها إلا في كبره، فهل نحكم عليه
بعدم قدرته بمجرد أنه لم تكن عنده هذه الموهبة منذ الصغر؟.

ونستطيع تشبيه من تعلّم هذا العلم في كبره، وقد توقّرت فيه شروط
التعبير، من فقه الكتاب والسُّنَّة والعلوم الأخرى ذات العلاقة، مع حسّ
وملكة مدفونة فيه، بالأرض الخصبة الطيّبة، التي يُوجد فيها جميع
العناصر التي تتغذى وتتقوى منها النباتات، فما إن يأتي المطر إلا اهتَزَّتْ
وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ.

ولو كانت هذه الأرض غيرَ مُهيّأةٍ لَمَا نبتت، ولو توالى الأمطار
عليها.

(١) يُنظر: المدخل ١١، ٣٢.

وهكذا حال الإنسان الذكي الفطن، الذي جمع من العلوم الشيء الكثير، ما إن يلتفت إلى علم من العلوم ويُلقي له بالاً، حتى يبرع فيه، وربما سبق المتقدمين عليه ممن لم تكن له أهليّة كأهليّته.

وما دام هذا العلم بهذه الأهمية والخطورة فينبغي أن يلقى علم التعبير اهتماماً لدى طلاب العلم والعلماء، وأن يُبادروا إلى تعلّمه وتعليمه، فإن لم يفعلوا، تسابق إليه الجُهال والدّجالون كما هو المُشاهد اليوم.

تنبيه: الاشتغال بالكتاب والسُنّة أعظم وأشرف من الاشتغال بالرؤى وتأويلها، وقد كان شيخ الإسلام البلقيني رحمه الله تعالى يقول: الفتوحات التي يفتح بها على العلماء في الاهتداء إلى استنباط المسائل المشكّلة من الأدلة، أعظم نفعاً وأكثر فائدة مما يفتح به على الأولياء من الاطلاع على بعض الغيوب، فإن ذلك لا يحصل به من النفع مثل ما يحصل بهذا. اهـ^(١).

وقال الفقيه أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى: ولو كان ذلك - أي: علم الرؤيا - يشغله عن علم الفقه فالكف عنه والاشتغال بعلم الفقه أفضل؛ لأن في علم الفقه معرفة أحكام الله تعالى وعلم الرؤيا بمنزلة فال يتفاهل به. اهـ^(٢).

○ [الرؤى لا تُثبت حكماً شرعياً]:

مع عظم شأن الرؤى، إلا أنه لا يمكن أن تثبت حكماً شرعياً جديداً، ولكن يُمكن أن تُؤكد عليه؛ لأن الله - تعالى - أكمل الدين، قال ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

(١) التحرير شرح التحرير ٧٨٦/٢.

(٢) بستان العارفين، ص ٣٥٤.

لكنّ لها منافع عظيمة، وأسرارًا لطيفة، ومن أهم منافعها وثمارها:

- ١ - «البشرى بما يرد على الإنسان من خير.
 - ٢ - الإنذار بما يتوقعه من شر.
 - ٣ - الاطلاع على الحوادث في العالم قبل وقوعها»^(١).
 - ٤ - أنها سببٌ في هداية ضال، وتعليم جاهل، وإسلام كافر.
 - ٥ - استصلاح أحوال الناس والنجاة بهم من الهلكة، فكم تغيرت حال مِصْرَ، بعد تعبیر يوسف عليه السلام لرؤيا المَلِك! «لقد كانت رؤيا الملك، بعد إيمانه بها، وبعد أن نفذ مقتضاها، منجاة لشعب بكامله مما ينتظره من مآس وويلات»^(٢).
- والشواهد على ذلك كثيرة جدًا، قديمًا وحديثًا، وهذا الإمام البخاري رحمه الله تعالى، يُؤلف صحيح البخاري بسبب رؤيا، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه فتح الباري: روينا بالإسناد الثابت عن محمد بن سليمان قال: سمعت البخاري يقول: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأنني واقفٌ بين يديه، وبيدي مروحةٌ أذبُ بها عنه، فسألت بعض المعبرين فقال لي: «أنت تذبُّ عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح»^(٣).

وهذا ابن عمر رضي الله عنهما حافظ على قيام الليل بسبب رؤيا، فقد رأى في النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَينِ أَخَذَاهُ، فَذَهَبَا بِهِ إِلَى النَّارِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، فَقِيلَ لَهُ: لَمْ تُرْعَ، فَقَصَّصَتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» فَكَانَ بَعْدَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا

(١) أبجد العلوم للعلامة محمد صديق خان ١/ ٣٣١.

(٢) المدخل إلى علم تعبیر الرؤيا، ص ٨٣. (٣) مقدمة الفتح ٧/ ١.

قَلِيلًا . متفق عليه^(١) .

○ [الحذر من تأويل الرؤى دون علم ومعرفة]:

ذكر أهل العلم رحمهم الله تعالى أنه لا يجوز تعبير الرؤيا إلا لمن هو عالمٌ وعارفٌ بها .

وقد سمى الله تعالى في غير موضع تعبير الرؤى بالفتوى، وذلك لشبهها بالفتوى، ولعظم الخوض فيها بغير علم .

وقد ذكر العلامة السعدي رحمه الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: «أن تعبير المرائي داخل في الفتوى، لقوله للفتيين: ﴿فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١] وقال الملك: ﴿أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ﴾ [يوسف: ٤٣] وقال الفتى ليوسف: ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾ [يوسف: ٤٦] الآيات .

فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم . اهـ^(٢) .

وقال العلامة خليل شاهين رحمه الله تعالى: «يجب على من لا يعرف علم التَّعْبِيرِ ألا يعبر رؤيا أحد، فَإِنَّهُ يَأْثِمُ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا كَالْفَتْوَى، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ عِلْمٌ نَفِيسٌ» . اهـ^(٣) .

ومعلوم أن الفتوى بأبها العلم والظنّ الراجح، لا التخرُّص والتخمين والحدس .

وليس المقصود بالفتوى المعنى الاصطلاحي، الذي هو الإخبار بالحكم الشرعي من الحلال والحرام، بل المقصود بها في الرؤى معناها اللغوي، «وهو: الإخبار بإزالة مشكل، أو إرشاد إلى إزالة حيرة»^(٤) .

قيل للإمام مالك رحمه الله تعالى: أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال:

(١) البخاري (١١٢١٩)، ومسلم (٢٤٧٩) . (٢) تفسير السعدي، ص ٤٠٧ .

(٣) الإشارات، ص ٦٤٥ . (٤) التحرير والتنوير ٦٧/١٢ .

أَبِالنَّبْوَةِ يُلْعَبُ؟ وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يَعْبَرُ الرُّؤْيَا إِلَّا مَنْ يُحْسِنُهَا، فَإِنْ رَأَى خَيْرًا أَخْبَرَ بِهِ، وَإِنْ رَأَى مَكْرُوهًا فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتْ، قِيلَ لَهُ: فَهَلْ يَعْبَرُهَا عَلَى الْخَيْرِ، وَهِيَ عِنْدَهُ عَلَى الْمَكْرُوهِ؟ فَقَالَ: لَا، الرُّؤْيَا جُزْءٌ مِنَ النَّبْوَةِ، فَلَا يَتَلَاَعَبُ بِالنَّبْوَةِ. اهـ^(١).

فَالْوَاجِبُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ كُلَّ مَنْ وَلَجَ هَذَا الْعِلْمَ الشَّرِيفَ دُونَ عِلْمٍ رَاسِخٍ فِيهِ.

وَبَعْضُ النَّاسِ يَنْظُرُ فِي الْكُتُبِ الَّتِي تَتَكَلَّمُ عَنِ الرَّمُوزِ، فَيُفْتِي عَلَى حَسَبِ مَا جَاءَ فِيهَا، وَهَذَا خَطَأٌ كَبِيرٌ، فَكَمَا أَنَّهُ لَا يَحِقُّ لِلْعَامِيِّ أَنْ يُفْتِيَ فِي أُمُورٍ شَرْعِيَّةٍ بِمَجْرَدِ رَجُوعِهِ لِكِتَابٍ مُعَيَّنٍ، فَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُفْتِيَ فِي تَعْبِيرِ الرُّؤْيَى بِمَجْرَدِ الرَّجُوعِ لِكُتُبِ الرَّمُوزِ.

قَالَ شَهَابُ الدِّينِ النَّفَرَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَا يَجُوزُ تَعْبِيرُ الرُّؤْيَا بِمَجْرَدِ النَّظَرِ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الْجَهْلَةِ، يَكْشِفُ نَحْوَ ابْنِ سِيرِينَ عِنْدَمَا يُقَالُ لَهُ أَنَا رَأَيْتُ كَذَا، وَالْحَالُ أَنَّهُ لَا عِلْمَ لَهُ بِأَصُولِ التَّعْبِيرِ فَهَذَا حَرَامٌ؛ لِأَنَّهَا تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ وَالْأَحْوَالِ وَالْأَزْمَانِ وَأَوْصَافِ الرَّائِينَ فَعِلْمُهَا عَوِيضٌ يَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدٍ مَعْرِفَةٍ بِالْمُنَاسَبَاتِ. اهـ^(٢).

وَكُتُبُ الرَّمُوزِ لَيْسَتْ وَحْدَهَا كَافِيَةً فِي صِحَّةِ التَّعْبِيرِ، فَإِنَّ بَعْضَ الرَّمُوزِ قَدْ تَخْتَلَفَ مَدْلُولَاتُهَا مِنْ زَمَنِ لآخر.

قَالَ خَلِيلُ شَاهِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَوْ اعْتَمَدَ الْمَعْبُرُونَ عَلَى مَا ضَبَطَ فِي الْكُتُبِ خَاصَّةً لَعَجَزُوا عَنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ لَمْ تَذَكَرْ فِي الْكُتُبِ؛ لِأَنَّ عِلْمَ التَّعْبِيرِ وَاخْتِلَافَ رُؤْيَا النَّاسِ كَبْحَرٍ لَيْسَ لَهُ شَاطِئٌ. اهـ^(٣).

(٢) الفواكه الدواني ٢/ ٣٥٣ - ٣٥٤.

(١) التمهيد ١/ ٢٨٨.

(٣) الإشارات في علم العبارات، ص ٢٦.

○ [حكم أخذ الأجرة على التعبير؟]:

تقرّر أنّ تعبير الرؤى من العلوم الشرعيّة، فلذا لا ينبغي اشتراط الأجر على التعبير.

والفرق ظاهرٌ بين تعليم التعبير، وبين التعبير نفسه، فالأول يجوز أخذ الأجرة عليه بالإجماع، بخلاف الثاني، فقد نصّ كثيرٌ من أهل العلم على تحريمه.

ولا يخفى أنّ حكم اشتراط الأجر على تعليم القرآن والعلوم الشرعية جائز على الصحيح، بخلاف الشرط على قراءة القرآن، والفتوى في مسائل الدين.

لكن لا يحرم ذلك؛ لأن التعبير ليس من باب الإخبار عن الأحكام الشرعية الدينيّة، بل من باب الأخبار الدنيوية، وقد تقدّم أنه ليس المقصود بالفتوى المعنى الاصطلاحي، بل المقصود بها في الرؤى معناها اللغوي.

لكنّ المبالغة في طلب واشتراط دفع الأموال على التعبير - وهو من الأمور الظنية لا القطعية - أمرٌ تجاوز حدّه، وكرّه الناس بأهله.

وبعضهم لا يردّ على الاتصالات أبداً، إلا بالطرق التي يدفع فيها المتّصل المال الكثير.

بل إنّ بعضهم حينما يُسأل عن رؤيا يرفض التعبير، ويقول: اتصل على البرنامج^(١).

(١) وقد سألت أحد المعبرين المشهورين في القنوات، ويأخذ رسوماً على المكالمة، فرفض الإجابة وقال: أنا انتهيت من التعبير!

مع أنه يخرج - ولا زال - في القناة.

وبعضهم صرّح لي بأنه يشترط دفع المتّصل المال قبل الإجابة، إما بتحويله لحسابه، أو شحن جواله!

○ [هل يجوز تعبير الرؤيا عند أكثر من مُعَبِّر؟]:

تعبير الرؤيا فتوى كما تقدّم، والفتوى لا ينبغي الاستهانة والتلاعب بها، ومن الاستهانة بها: تعبيرها من أكثر من معبر دون حاجةٍ صحيحةٍ لذلك.

والأدلة الدالة على المنع من ذلك كثيرة منها:

الدليل الأول: ثبت في «الصحيحين»^(١) أن رجلاً قصّ على الرسول ﷺ رؤيا، فأولها أبو بكر رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ: «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا» قَالَ: فَوَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَتَحْدِثَنِي بِالَّذِي أَخْطَأْتُ، قَالَ: «لَا تُقْسِمَ».

ولم يستجب النبي ﷺ لطلبه في أن يوضح خطأه، ويلزم من ذلك أن يبين وجه الصواب، فيُعَبِّرَ الرؤيا حينئذ. فظاهر ذلك أن من سنّته وهديه ﷺ الإمساك عن تعبير الرؤيا إذا عُبِّرَتْ.

الدليل الثاني: ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَهَا زَوْجٌ تَاجِرٌ يَخْتَلِفُ، فَكَانَتْ تَرَى رُؤْيَا كُلَّمَا غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا، وَقَلَّمَا يَغِيبُ إِلَّا تَرَكَهَا حَامِلًا، فَتَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَتَقُولُ: إِنَّ زَوْجِي خَرَجَ تَاجِرًا، فَتَرْكَنِي حَامِلًا، فَرَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ أَنَّ سَارِيَةَ بَيْتِي انْكَسَرَتْ، وَأَنِّي وَلَدْتُ غُلَامًا أَعْوَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرٌ، يَرْجِعُ زَوْجُكَ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى صَالِحًا، وَتَلِدِينَ غُلَامًا بَرًّا» فَكَانَتْ تَرَاهَا مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا كُلَّ ذَلِكَ، تَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولُ: ذَلِكَ لَهَا، فَيَرْجِعُ زَوْجُهَا، وَتَلِدُ غُلَامًا، فَجَاءَتْ يَوْمًا كَمَا كَانَتْ تَأْتِيهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) البخاري (٧٠٤٦)، ومسلم (٢٢٦٩).

عَائِبٌ، وَقَدْ رَأَتْ تِلْكَ الرُّؤْيَا، فَقُلْتُ لَهَا: عَمَّ تَسْأَلِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَا أُمَّةَ اللَّهِ؟ فَقَالَتْ: رُؤْيَا كُنْتُ أَرَاهَا، فَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْأَلَهُ عَنْهَا؟ فَيَقُولُ: خَيْرًا، فَيَكُونُ كَمَا قَالَ: فَقُلْتُ: فَأَخْبِرِينِي مَا هِيَ؟ قَالَتْ: حَتَّى يَأْتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَعْرِضَهَا عَلَيْهِ، كَمَا كُنْتُ أَعْرِضُ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكَتُهَا حَتَّى أَخْبَرْتَنِي، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَئِنْ صَدَقْتَ رُؤْيَاكَ لَيَمُوتَنَّ زَوْجُكَ، وَتَلْدِينَ غُلَامًا فَاجِرًا، فَقَعَدْتُ تَبْكِي، وَقَالَتْ: مَا لِي حِينَ عَرَضْتُ عَلَيْكَ رُؤْيَايَ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ لَهَا: مَا لَهَا يَا عَائِشَةُ؟ فَأَخْبَرَتْهُ الْخَبَرَ، وَمَا تَأَوَّلْتُ لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْ يَا عَائِشَةُ إِذَا عَبَرْتُمْ لِلْمُسْلِمِ الرُّؤْيَا فَاغْبُرُوهَا عَلَى الْخَيْرِ، فَإِنَّ الرُّؤْيَا تَكُونُ عَلَى مَا يَغْبُرُهَا صَاحِبُهَا»، (فَمَاتَ، وَاللَّهِ زَوْجُهَا، وَلَا أَرَاهَا إِلَّا وَلَدَتْ غُلَامًا فَاجِرًا) ^(١).

فلم يأمر عليه الصلاة والسلام أحدًا بإرجاع تلك المرأة ليبشرها ويهدئ من روعها - مع أنها ذهبت تبكي - ويبين لها وجه الصواب في رؤياها.

وقد كان رحيماً رؤوفاً.

الدليل الثالث: أنه صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت. رواه أبو داود ^(٢) والترمذي وصححه ^(٣)، وابن ماجه ^(٤) وأحمد ^(٥)، وصححه الألباني. فالرؤيا تقع من أول تعبيرٍ صحيحٍ لها، فمهما عبَّرت بعد ذلك فلا ينفع أبداً.

(١) رواه الدارمي (٢٢٠٩)، قال الحافظ في الفتح: إسناده حسن، وكذا قال الأرناؤوط في تحقيق زاد المعاد: إسناده حسن.

(٢) (٢٢٧٨).

(٣) (٥٠٢٠).

(٤) (١٦١٨٢).

(٥) (٣٩١٤).

فلذا لا ينبغي لمن رأى رؤيا أن يطلب تعبيرها عند أكثر من مُعَبِّرٍ،
إلا في حالتين:

الحالة الأولى: إذا تبَيَّن خطأ المعبر الأول، أو تبين له نقصُ أهليَّته، وقلةُ باعه في التعبير.

الحالة الثانية: إذا لم تطمئن نفسه للتعبير، ولم يقتنع به، وأحسَّ برغبةٍ مُلحَّةٍ أن يُعَبِّرَها عند من هو أعلم وأفضل.

وهذه الحالةُ بحرٌّ لا ساحلَ له، فالناس يخوضون وينهمكون في تعبيرها حُبًّا للاستطلاع - لا سيما النساء.

لكنه لا يصل إلى التحريم ولا شك؛ لأن الفتوى الشرعيَّة تتعلق بالدين والعقيدة، بخلاف فتوى الرؤى.

ولم أقف على مَنْ حرَّم ذلك من أهل العلم.

○ [حقيقة الرؤيا]:

الرأي تتصوَّر له رؤياه الصادقة بأحدِ سببين^(١):

السبب الأول: أن تكون من مَلِكٍ من الملائكة أوكَل بها، وذلك بأحدِ أمرين:

إما أن يضربَ أمثالا، ليستدل الرأي بما ضُربَ له من المثل على نظيره، ويعبَّرَ منه على شَبْهه.

قال الحافظُ ابن حجر - رحمه الله تعالى -: «وَكَلَّ اللهُ بالرؤيا مَلَكًا، اطلَّعَ على أحوال بني آدم من اللوح المحفوظ، فينسخ منها ويضرب لكلِّ عن قصته مثلاً، فإذا نام مَثَلُ تلك الأشياء على طريق

(١) يُنظر: الروح، ص ٣٠، فقد ذكرها مُجْمَلَةً رحمه الله تعالى.

الحكمة؛ لتكون له بشرى أو نذارة أو معاتبة» اهـ^(١).
 وإما أن تكون من إلقائه في قلب الرائي ورؤيته.
 وهذا يحدث كثيراً، حيث يرى في المنام كأن أحداً يُذكره أمراً
 نسيه، أو يحذره من خطرٍ داهم.
 وقد قال لي أحدُ الأصدقاء: اتّصلت علي زوجتي وأنا في مقرّ
 عملي وقالت: هل أنت مُتأكّد أنّ الباب الخارجي للمنزل مُقفل؟ قلت:
 نعم، قالت: أرجو أن تتأكّد، فأتيت وإذا به مفتوح! فقلت لها: كيف
 علمت بذلك؟ قالت: رأيت في المنام أنّ أحداً يُخبرني بأن الباب مفتوح!
السبب الثاني: أن تكون من الروح ووصولها وجولانها، وذلك
 بأحد أمرين:

إما من رؤية الروح للأشياء بذاتها.
 وإما بمُلاقاتها للأرواح الأخرى، فإنّ روح النائم قد تلتقي بأحد
 الأموات؛ كالأب أو الابن وغيرهم، كما سيأتي تفصيله بحول الله
 تعالى.

○ [الرؤى من حيث صدقها وكذبها تنقسم إلى قسمين]:

القسم الأول: الرؤى الصادقة، وهي حديث المَلَك، وهي جزءٌ من
 النُّبوة، «وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:
أ- الرؤى المبشرات. وهي تحمل بشارة سالفة أو قادمة أو
 حاضرة.

ب- الرؤى المنذرات. تنذر بوقوع شر لأخذ الحيطة والحذر.

ج- الرؤى المُنبهات. تنبه إلى أن شيئاً يجري حدوثه ويجب

إصلاحه»^(١).

فالرؤيا الصادقة هي التي تحمل في مضمونها البشارة أو النذارة أو التنبيه للرأي أو لغيره، ولذا جاء وصفها بالصالحة؛ أي: أنها ليست أضغاث أحلام، وليست تهويلًا وتحزينًا.

قال الحكيم الترمذي: الرؤيا الصادقة أصلها حقٌّ، تخبر عن الحق، وهو بشرى وإنذار ومعاتبه؛ لتكون عونًا لِمَا نُدب إليه. اهـ.^(٢)

القسم الثاني: الرؤى الفاسدة، وستأتي علاماتها إن شاء الله تعالى.

والأحاديث الصحيحة تدلّ على هذا التقسيم، فمنها حديث أبي قتادة رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَالرُّؤْيَا السَّوْءُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى رُؤْيَا فَكَّرَهُ مِنْهَا شَيْئًا فَلْيَنْفُتْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، لَا تَضُرُّهُ وَلَا يُخْبِرُ بِهَا أَحَدًا، فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً، فَلْيُشِيرْ وَلَا يُخْبِرْ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ»^(٣).

وحديث أبي سلمة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ، فَلَا يُحَدِّثُ بِهَا إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِنْ رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَنْفُتْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهَا، وَلَا يُحَدِّثُ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»^(٤).

فالنبي ﷺ قَسَمَ الرُّؤْيَى إِلَى قَسَمَيْنِ:

١ - صَالِحَةٌ مِنَ اللَّهِ، وهي كما تقدم، إما تبشير أو إنذار أو تنبيه، وتكون واضحة المعنى، بيّنة الدلالة.

(١) القواعد الحسنى للشيخ عبد الله المسند، ص ٩.

(٢) فتح الباري ١٢/ ٣٧٢. (٣) البخاري (٣٢٩٢)، ومسلم (٢٢٦١).

(٤) رواه مسلم (٢٢٦١).

ولا بأس من الاستعاذة من الشيطان عند هذا النوع من الرؤيا، ليس لأن الرؤيا من الشيطان، بل لأنه يبدأ بتهويل ما رآه المؤمن، ويُخَوِّفه، وربما ثبطه عن تأويلها حتى لا يذهب إلى مَنْ يُؤَوِّلُهَا تأويلاً صحيحاً فتكون نافعةً له.

وينبغي كذلك أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْ جَنْبِهِ وَأَنْ يُصَلِّيَ، «فَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِدَفْعِ مَكْرُوهِ الْإِنذارِ مَعَ حُصُولِ مَقْصُودِ الْإِنذارِ»^(١).

٢ - سَيِّئَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وهي التي لا تصلح أَنْ تكون رؤيا، وذلك لعدم وضوحها، أو لاشتمالها على المتناقضات، أو لِمُخَالَفَتِهَا لِلشَّرعِ، أو لِمَا فِيهَا مِنَ الْفَزَعِ وَالْخَوْفِ الشَّدِيدِ.

فَلْيَتَّقِ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهَا، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ.

٣ - وهناك رؤى لا من الله تعالى ولا من الشيطان، بل هي من حديث النفس، وسيأتي تفصيل ذلك.

ويفعل مَنْ رَأَى ذَلِكَ كَمَا فَعَلَ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي.

ودليل هذه الأنواع الثلاثة: ما ثبت في «صحيح مسلم»^(٢) «وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ».

تنبيه: وقد يقول قائل: جاء وصفُ الرؤيا الصالحة والصادقة بكونها مُبَشِّرَةً، وَأَنَّ رَائِيهَا يُحِبُّهَا، فكيف أدخلت الرؤى المنذرة ضمن الرؤى الصادقة، وهي لا تخلو من الفزع والخوف، ورأيها لا يُحِبُّهَا ولا يستبشر بها؟

والجواب على ذلك أن قول الرسول ﷺ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(١) خرج مخرج الغالب.

والدليل على ذلك: أن هناك رؤى محبوبة وسارة، لكنها ليست صالحة ولا صادقة؛ كمن نام وهو يفكر في طعام يشتهي، فرأى أنه يأكل ذاك الطعام، وكمن يرى أنه يُجامع امرأته ثم احتلم.

قال الطبري رحمه الله تعالى: فإن قال قائل: فإن كانت كل رؤيا حسنةً وحيٍّ من الله وبشرى للمؤمن، فما باله يرى الرؤيا الحسنة أحياناً، ولا يجد لها حقيقة في اليقظة؟

فالجواب: أن الرؤيا مختلفة الأسباب:

- ١ - فمنها من وسوسة وتَحْزِينٌ للمؤمن.
- ٢ - ومنها من حديث النفس في اليقظة فيراه في نومه.
- ٣ - ومنها ما هو وحيٌّ من الله.

فما كان من حديث النفس ووسوسة الشيطان فإنه الذي يكذب، وما كان من قِبَلِ الله فإنه لا يكذب. اهـ^(٢).

وهناك رؤى مُحْزِنَةٌ ومُخَوِّفَةٌ، وتكون صالحة صادقة، ولا تكون فاسدة أو من الشيطان، وقد أجمع المعبرون على اعتبار وصحة رؤيا الثعبان الذي ينهش، والعقرب التي تلسع، والجمل الذي يعض، ومن يرى أنه على شفا جرف هار، ومن رُفِعَ في أكتاف الناس على جنازة، فهذه الرؤى وأمثالها لها تأويل صحيح مُعْتَبَر باتفاق المعبرين وأهل الخبرة.

(١) رواه البخاري (٦٩٨٥).

(٢) شرح ابن بطال ٥١٩/٩.

بل قد يرى أمرًا محرّمًا شرعًا، فتكون دليلًا على صلاح رائيها، فقد ثبت عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «عُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْتَرُّهُ» قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الدِّينَ». متفق عليه ^(١).

ومن الأدلة أيضًا على أَنَّهُ ليس كلّ ما يراه من رُؤى مُخَوِّفَةٌ تكون من الشيطان: قصّة ابن عمر حينما رأى الرؤيا التي أحزنته وخوّفتها، فسأل عنها رسول الله ﷺ، ففي «الصحيحين» عنه أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي، فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبُرِّ وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ وَإِذَا فِيهَا أَنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَلَقَيْنَا مَلَكًا آخَرَ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرْعَ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَصْتُهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ» ^(٢).

فلم يُنكر عليه، ولم يقل: إِذَا رَأَيْتَ الرُّؤْيَا الَّتِي تَكْرَهُهَا أَوْ تُخَافُهَا فلا تسأل عنها، كما فعل مع الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي حَلَمْتُ أَنَّ رَأْسِي قُطِعَ فَأَنَا أَتْبَعُهُ، فَزَجَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «لَا تُخْبِرْ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي الْمَنَامِ». رواه مسلم ^(٣).

بل إِنَّ الْمُؤْمِنَ قد يرى أَنَّهُ يُجَامِعُ أُمَّه! فيستيقظ من نومه فرعًا وجلاً، وحينما يسأل أهل التعبير يُخبرونه بأنّ جماعه لها علامةٌ على برّه بها!

قال المهلب بن أَبِي صَفْرَةَ رحمه الله تعالى في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ»،

(١) رواه البخاري (٢٣)، ومسلم (٢٣٩٠). (٢) البخاري (١١٥٦)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٣) (٢٢٦٨).

قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»: حديث أبي هريرة خرج لفظه على العموم، ومعناه الخصوص؛ وذلك أن المبشرات هي الرؤيا الصادقة من الله التي تسر رائيتها، وقد تكون صادقة منذرة من الله تعالى لا تسر رائيتها، يُريها الله المؤمن رفقا به ورحمة له؛ ليستعد لنزول البلاء قبل وقوعه.

فقوله: (لم يبق بعدي إلا المبشرات) خرج على الأغلب من حال الرؤيا. اهـ^(١).

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى: يحتمل قوله: «الرؤيا الحسنة والصالحة» أن يرجع إلى حسن ظاهرها أو صدقها، كما أن قوله: «الرؤيا المكروهة أو السوء» يحتمل سوء الظاهر أو سوء التأويل. اهـ^(٢).

«وَأَيْضًا فَالْمُنْذُورَةُ قَدْ تَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى الْمُبَشِّرَةِ؛ لِأَنَّ مَنْ أُنْذِرَ بِمَا سَيَقَعُ لَهُ وَلَوْ كَانَ لَا يَسُرُّهُ أَحْسَنُ حَالًا مِمَّنْ هَجَمَ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَنْزِعُ مَا لَا يَنْزِعُ مَنْ كَانَ يَعْلَمُ بِوُقُوعِهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ تَخْفِيفًا عَنْهُ»^(٣).

قال الشهاب العابر رحمه الله تعالى: أنواع الرؤيا أربعة:

أحدها: المحمودة ظاهراً، وباطناً؛ كالذي يرى أنه يكلم الباري عز وجل أو أحد الملائكة، أو الأنبياء عليهم السلام في صفة حسنة، أو بكلام طيب، وكمن يرى أنه يجمع جواهر، أو مأكلاً طيباً، أو يرى كأنه في أماكن العبادة مطيعاً لربه وَعَلَى ونحو ذلك.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمَّا أَنْ كَانَتْ الرُّؤْيَا لَا يَعْرِفُ جِيدهَا مِنْ رديهَا إِلَّا الْخَيْرُ بِهَذَا الشَّانِ، فَبَيَّنْتُ لِلْمَعْلَمِ أَنْ لَا يَلْتَفِتَ عَلَى مَا اعْتَقَدَتْهُ النَّفْسُ

(١) شرح ابن بطال ٥١٩/٩.

(٢) فتح الباري ٣٧٢/١٢.

(٣) فتح الباري ٣٧٢/١٢.

خيرًا لفرحها به حين الرؤيا، وَلَا أَنْ ذَلِكَ رَدِيًّا لَكُونَهَا فزعت مِنْهُ، بل يَعْتَمِد على الَّذِي يَنْبَغِي فِي أَصُولِ هَذَا الْعِلْمِ عَلَى مَا بَيْنَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

النَّوعُ الثَّانِي: محمودة ظاهرة، مذمومة باطنًا؛ كسماع الملاهي، أو شم الأزهار، فَإِنْ ذَلِكَ هُموم وأنكاد، أو كمن يرى أَنَّهُ يَتَوَلَّى مَنْصَبًا عَالِيًا - لَا يَلِيقُ بِهِ - فَهُوَ رَدِيءٌ.

قَالَ: لَمَّا كَانَ سَمَاعُ الْمَلَاهِي غَالِبًا لذهاب الهموم كَانَ ذَلِكَ رَدِيًّا، وَأَيْضًا: مَنْ كَوَّنَ ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى نَفَقَاتٍ وَكُلْفٍ - وَلَا ثَمَرَةَ لَذَلِكَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي مُقَابَلَةِ مَا أَنْفَقُوا - كَانَ غَرَامَةً بِلَا فَائِدَةٍ؛ فَأَعْطَى النكد.

وَأَيْضًا: فَإِنْ الْأَزْهَارُ غَالِبًا تَطْلُبُ لِأَصْحَابِ الْأَمْرَاضِ؛ فَأَعْطَى النكد أَيْضًا؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ مَرصَدٌ لشيء كَانَ إِعْلَامًا بِوُجُودِ ذَلِكَ، وَرُبَّمَا دَلُّوا عَلَى الْفَرْجِ.

النَّوعُ الثَّالِثُ: المذمومة ظاهراً وباطناً؛ كمن يرى حَيَّةً لدغته، أو نَارًا أحرقتَه، أو سَيْلًا غرَّقه، أو تهدمت داره، أو تَكَسَّرَتْ أشجاره، فَإِنْ ذَلِكَ رَدِيًّا، ظاهراً وباطناً؛ لدلالته على الهم والنكد.

النَّوعُ الرَّابِعُ: المذمومة ظاهراً، المحمودة باطنًا؛ كمن يرى أَنَّهُ يَنْكحُ أُمَّهُ، أو يَذْبَحُ وَلَدَهُ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ، وَالْحُجِّ إِلَى أَكْبَرِ أَمَاكِنِ الْعِبَادَةِ، وَعَلَى أَنَّهُ يَنْفَعُ أُمَّهُ، أو يُزَوِّجُ وَلَدَهُ، وَعَلَى مُوَاصَلَةِ الْأَهْلِ وَالْأَقَارِبِ، وَعَلَى رَدِّ الْأَمَانَاتِ.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمَّا أَنَّ كَانَ الْوُطْءُ مُوَاصَلَةً وَلَذَّةً بَعْدَ مَوَدَّةٍ وَمَوَاسَنَةٍ - غَالِبًا - أَعْطَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ ذَكَرْنَا فِي مَوْضِعِهِ، وَكَوْنُهُ وَطْئًا مُحَرَّمًا بِكُلِّ وَجْهٍ أَعْطَى - وَطْأَهُ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ عَلَيْهِ وَمَشِيهِ إِلَيْهِ - الْعَزِيزُ عِنْدَهُ كَالْكَعْبَةِ عِنْدَ الْإِسْلَامِ، وَالْقُدُسُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَبَيْتُ

النيرانِ عِنْدَ مَنْ يَعْتَقِدُهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَافْهَمْ وَقَسْ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا دَلَّ ذَبْحُ الْوَلَدِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ قِيَاسًا عَلَى قِصَّةِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. اهـ^(١).

وَيُسْتَفَادُ مِنْ كَلَامِهِ أَرْبَعُ فَوَائِدَ:

الفائدة الأولى: أن الرؤى المحموده ظاهرًا قد تكون مذمومة ظاهرًا والعكس كذلك.

الفائدة الثانية: أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ - كما هو ديدنه في كتابه - شرع في شرح هذه الرموز، ليتعلم القارئ كيف يُعَبَّرُ، وهذا يُؤَكِّدُ إمكانية تعلم تعبير الرؤيا، كما سيأتي تفصيله بحول الله تعالى.

الفائدة الثالثة: أن في شرح الشيخ رَحِمَهُ اللهُ لهذه الرموز دليلًا على أن تعبير الرؤيا ليس مبنياً على الإلهام، بل على الفهم والفراسة والفتنة، وقياس أقرب الشبه للرمز المعنوي بالواقع الحسيّ. لقوله: فافهم وقس عليه، وَإِنَّمَا دَلَّ ذَبْحُ الْوَلَدِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ قِيَاسًا عَلَى قِصَّةِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الفائدة الرابعة: أن هذا العلم مبنئ على أصول وقواعد؛ لقوله: بل يعتمد على الذي ينبغي في أصول هذا العلم.

○ [الرؤى الصادقة من حيث صراحتها وغموضها تنقسم إلى قسمين]:

١ - رؤى صريحة، وهي التي لا تحتاج إلى تأويل، وهي التي عبّر عنها بـ(مثل فلق الصبح).

مثل: مَنْ رَأَى أَنَّهُ يُعْطَى شَيْئًا فِي الْمَنَامِ، فَيُعْطَى مِثْلَهُ بَعِينَهُ فِي

اليقظة، وهذا الضرب من الرؤيا لا إغراق في تأويلها، ولا رمز في تعبيرها.

٢ - رُؤى غامضة، وهي التي تحتاج إلى تأويل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: من رؤيا المؤمنين ما يكون مطابقاً للظاهر لا يحتاج إلى تأويل..

وقد يكون تأويلها لا يشبهها إلا بوجه بعيد، لا يهتدي له إلا حذاق المعبرين. اهـ^(١).

○ [الحكمة في وجود الرؤى الغامضة]:

إنّ من حكمة الله تعالى أن جعل من الرؤى ما لا يهتدي إليها إلا الحذاق من المعبرين، ولم يجعلها كلّها واضحة المقصد، صريحة لا تحتاج إلى تأويل، مع أنّ منافع الرؤى الصريحة كثيرة منها:

أولاً: أنّ من حكمة الله تعالى في الرؤى تحذيرهم أو تبشيرهم، ولا تتحقق هذا الحكمة تحقّقاً تامّاً إلا من خلال الرؤى الصريحة.

ثانياً: أنها لا تلجئ الناس إلى السؤال والحاجة إلى غيرهم، وهذا من أعظم مقاصد الشريعة، فعن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ أَنَّهُ بَايَعَ مَعَ نَفَرٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَالصَّلَاةِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا - وَأَسْرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئاً».

قال: فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيَّكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يَنَاولُهُ إِيَّاهُ. رواه مسلم^(٢)

ومع ذلك فالحكمة الربانية اقتضت ألا تكون جميع الرؤى صريحة

(١) بغية المرناد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ٨/ ٨١٣.

(٢) (١٠٤٣).

واضحَةً، بل أغلبها لا تكون مطابقةً للظاهر، بل تحتاج إلى تأويل، ويحتاجُ الناسُ إلى سؤال المتخصصين، والحكمة العظيمة من ذلك: هي مثلُ الحكمة في عدم تقدير الله تعالى أن يُدَوِّن الصحابةَ الحديث، فيُعلقوا على الناس باب شرٍّ من تلك الأحاديث الضعيفة والمكذوبة، وهي مثلُ الحكمة التي لأجلها لم يُفسر رَسُولُ اللَّهِ ﷺ القرآن بأكمله، ولم يُدَوِّن تفسير الصحابة والتابعين، فتُسدَّ أبواب الشر التي فتحتها المبتدعة وبعض أصحاب الأهواء بتأويلهم ظواهر الآيات، وتحريف الصفات، وهي مثلُ الحكمة التي لأجلها جعل الله تعالى في القرآن المُشابه.

والحكمة من عدم ذلك كله: أن يفتح الله تعالى باب الاجتهاد والبحث والمناظرة، ويُظهر علماء لم يظهروا لو كانت الأمور والأحكام مُقررةً وواضحة.

بل لولا ذلك الغموضُ والاشتباهُ لم تر تلك الكتب الكثيرة، ولا القصص العجيبة، ولا رحلات العلماء في طلب الحديث والتفسير والعلم، بل لجلسوا في بيوتهم وقرأوا ما تم تدوينه في عصر النبوة والصحابة والتابعين، وانشغلوا بحفظها عن طلبها.

قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى: وأما قولهم: ماذا أراد بإنزال المتشابه في القرآن، مِمَّنْ أراد بالقرآن لعباده الهدى والتَّيَّان؟^(١)

فالجواب عنه: لو كان القرآنُ كُلُّه ظاهرًا مكشوفًا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطلَ التفاضل بين الناس، وسقطت المِحنةُ، وماتت الخواطر.

ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة، ومع الكفاية يقع العجز والبلادة.

(١) أي: أن القرآن نزل لهداية الناس، فلماذا أوجد تعالى فيه المتشابه التي لا يعلمها أكثرهم.

وقالوا: عيب الغنى أنه يورث البله، وفضيلة الفقر أنه يبعث الحيلة.

وكلُّ بابٍ من أبواب العلم من الفقه والحساب والفرائض والنحو، فمنه ما يجلُّ، ومنه ما يدقُّ، ليرتقي المتعلم فيه رتبة بعد رتبة، حتى يبلغ منتهاه، ويدرك أقصاه ولتكون للعالم فضيلة النظر، وحسن الاستخراج، ولتقع المثوبة من الله على حسن العناية.

ولو كان كلُّ فنٍّ من العلوم شيئاً واحداً: لم يكن عالم ولا متعلم، ولا خفي ولا جلي؛ لأنَّ فضائل الأشياء تُعرف بأضدادها، فالخير يعرف بالشر، والنفع بالضرر، والحلو بالمر، والقليل بالكثير، والصغير بالكبير، والباطن بالظاهر. اهـ^(١).

○ [علامات الرؤيا الفاسدة]:

وتُسمَّى في عُرْف الشارع بالحُلْم، وهو في اللغة شاملٌ للرؤيا الحسنة والسيئة، غيرَ أنَّ الشرع خص الخير باسم الرؤيا، والشرَّ باسم الحلم. والحلم له علاماتٌ تدلُّ عليه، وهي:

أولاً: أن يشتمل على ما فيه فزعٌ ورعب، وهو من تخويفٍ وتحزينٍ الشَّيْطَان.

وهذا في الغالب، وإلا قد يرى الإنسان رؤيا يخاف منها، وتكون صادقةً من الله تعالى، حيث يُنبِّهه أو يُحذِّره من أمرٍ يضرُّه، وهذا من رحمة الله به.

ثانياً: أن يكون حديث نفس، وذلك بأن تُحدِّثه نفسه عن شيءٍ في اليقظة، فيراه في المنام.

(١) تأويل مشكل القرآن ٥٨ - ٥٩.

كمن يبحث عن زوجة فيرى في المنام أنه قد تزوج، وكمن يكون عطشاً فيرى في المنام أنه شرب، أو جائعاً فيرى أنه يأكل، وغير ذلك. ومن الرؤى التي تدخل في حديث النفس: «رُؤْيَا مَا يَعْتَادُهُ الرَّائِي فِي الْيَقَظَةِ؛ كَمَنْ كَانَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَأْكُلَ فِي وَفْتٍ، فَنَامَ فِيهِ فَرَأَى أَنَّهُ يَأْكُلُ، أَوْ بَاتَ شَبَعَانًا مِنْ أَكْلٍ أَوْ شُرْبٍ، فَرَأَى أَنَّهُ يَتَقَيَّأُ»^(١).

ودليل هذا وما قبله، ما ثبت في صحيح مسلم مرفوعاً^(٢): الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَرُّؤْيَا تَحْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُّؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءَ نَفْسَهُ».

فالأصل فيمن يرى رؤيا تُحزنه، أو يجد ضيقاً بعد استيقاظه، أنها من الشيطان.

ويرى الكثير من المعبرين المُعاصرين أنَّ أغلب رؤى الناس هي حديث نفس أو ما اعتادوه في اليَقَظَةِ.

فلذا لا ينبغي الحرص على طلب التعبير عند كلِّ رؤيا، ولينظر الرائي في رؤياه، فإن كانت من هذين السببين فليعلم أنَّ ما رآه حلمٌ لا حقيقة له.

وينبغي للمعبر ألا يتكلف تعبير كلِّ رؤيا، بل ينبغي أن يسأل الرائي عن بعض الأمور التي يستدل من خلالها على أنَّ ما رآه إنما هو حلمٌ كاذبٌ وليس رؤيا صادقة.

ثالثاً: أن يكون من تَلَاْعِبِ الشَّيْطَانِ؛ كأن يرى رأسه يتدحرج وهو يُلاحقه.

(١) فتح الباري ٤٠٨/١٢.

قال: وَيَبَيِّنُهُ وَبَيَّنَ حَدِيثَ النَّفْسِ عُمُومَ وَخُصُوصَ.

(٢) (٢٢٦٣).

والدليل على ذلك: حَدِيثُ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ ^(١) قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي ضُرِبَ فَتَدَخَّرَجَ فَاشْتَدَدْتُ عَلَى أَثَرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْأَعْرَابِيِّ: «لَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِتَلْعَبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي مَنَامِكَ».

وهذا تنبيهه على أن كل رؤيا كانت من هذا الجنس لا ينبغي أن يتحدَّثَ بها المسلم، فإنها من الشيطان.

وكم من إنسانٍ يُخبر ويُحدِّث بِتَلْعَبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي مَنَامِهِ!

ومن تلاعب الشيطان: أن يتسبَّب في احتلام الرائي، قال البغوي رحمه الله تعالى: وَمِنْ لَعِبِ الشَّيْطَانِ بِهِ الْإِحْتِلَامُ الَّذِي يُوجِبُ الْغَسْلَ، فلا يكون له تأويل. اهـ ^(٢).

رابعاً: أن يكون من الأَضْغَاثِ، وهي جمعُ ضِغْثٍ، وهي ما اختلط من الحشيش من رطبٍ ويابسٍ، أو ما تأخذه بقبضة من الحشيش، فيكون فيها العشب الطويل والقصير، والطَّري واليابس، وما يصلح للأكل وما لا يصلح.

سُمِّيَتْ بعضُ الأحلام أضغاثاً: لأنها مُتداخلةٌ غيرُ مُترابطةٍ، يستحيل تفسيرها. كأن يرى في منامه مناظر متناقضة ومتداخلة، لا يعرف أولها من آخرها.

ودليل ذلك قوله تعالى عن رؤيا ملكٍ مِصْرَ: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ ^(٤٤) [يوسف: ٤٤].

قال الرازي رحمه الله تعالى: «اعْلَمْ أَنَّ الْقَوْمَ مَا نَفَوْا عَنْ أَنْفُسِهِمْ كَوْنَهُمْ عَالِمِينَ بِعِلْمِ التَّعْيِيرِ، بَلْ قَالُوا: إِنَّ عِلْمَ التَّعْيِيرِ عَلَى قِسْمَيْنِ:

مِنْهُ مَا تَكُونُ الرُّؤْيَا فِيهِ مُنْتَسِقَةً مُنْتَظَمَةً، فَيَسْهُلُ الْإِنْتِقَالُ مِنَ الْأُمُورِ
الْمُتَحَيِّلَةِ إِلَى الْحَقَائِقِ الْعَقْلِيَّةِ الرُّوحَانِيَّةِ.

وَمِنْهُ مَا تَكُونُ فِيهِ مُخْتَلِطَةً مُضْطَرِبَةً، وَلَا يَكُونُ فِيهَا تَرْتِيبٌ مَعْلُومٌ،
وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْأَضْغَاثِ، وَالْقَوْمُ قَالُوا: إِنَّ رُؤْيَا الْمَلِكِ مِنْ قِسْمِ
الْأَضْغَاثِ، ثُمَّ أَخْبَرُوا أَنَّهُمْ غَيْرُ عَالِمِينَ بِتَغْيِيرِ هَذَا الْقِسْمِ، وَكَأَنَّهُمْ قَالُوا:
هَذِهِ الرُّؤْيَا مُخْتَلِطَةٌ مِنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ فَتَحْنُ لَا نَهْتَدِي إِلَيْهَا
وَلَا يَحِيطُ عَقْلُنَا بِهَا، وَفِيهَا إِيْهَامٌ أَنَّ الْكَامِلَ فِي هَذَا الْعِلْمِ وَالْمُتَبَحَّرِ فِيهِ
قَدْ يَهْتَدِي إِلَيْهَا». اهـ^(١).

هذه هي العلامات التي متى ما وجدها الإنسان في الرؤيا
التي رآها، علم أنها باطلةٌ وغيرُ صالحة، فلا ينشغل بها ولا يطلب
تأويلها.

○ [علامات الرؤيا الصالحة]:

أولاً: انتفاء جميع ما تقدم من علامات الرؤيا الفاسدة.

ثانياً: أن يكون الرائي معروفاً بالصدق في كلامه، كما قال ﷺ:
«أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً»^(٢).

وهذا في الغالب، وإلا فقد يرى غير الصادق رؤيا صادقة يكون
فيها إيقاظ لغفلته.

ثالثاً: قُوَّةُ انطباع تلك الرؤيا بتفاصيلها في ذاكرته، فلا ينسى منها
شيئاً، بل يتذكرها بجميع تفاصيلها.

رابعاً: تكرارها، فمتى تكررت رؤيا بعينها عليك مراراً، فاعلم أنها

(١) تفسير الرازي ٤٦٤/١٨.

(٢) رواه مسلم (٢٢٦٣).

حقّ، وأنها ما تكرّرت إلا لتنبيهك أو لتحذيرك أو لتبشيرك، فلا ينبغي أن تُهمّلها.

خامساً: أن يُحس - بعد استيقاظه - بشعورٍ قويّ؛ نفسيّ أو جسدي، وقد يصل الشعور النفسيّ إلى البكاء أو الفرح والسرور العجيب، وقد يصل الشعور الجسدي إلى الألم، أو الإحساس بالشبع أو نحو ذلك.

○ [المشروع لمن رأى رؤيا صادقة]:

أولاً: أن يعلم أنها من الله - تعالى -؛ لقوله ﷺ: «الرؤيا الصادقة من الله».

ثانياً: أن يحمد الله - تعالى - عليها؛ لقوله ﷺ: «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها».

ثالثاً: ألا يحدث بها إلا من يحب؛ لقوله ﷺ: «فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يخبر إلا من يحب»؛ «لأنه لا يأمن ممن لا يحبه أن يعبره حسداً على غير وجهه فيغمه، أو يكيده بأمر؛ كما أخبر الله ﷻ عن يعقوب عليه السلام، حين قص عليه يوسف عليه السلام رؤياه: ﴿يَبْنِي لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥]»^(١).

رابعاً: ألا يقصها إلا على عالم أو ناصح؛ لما ورد في الحديث: «لَا تُقْصُ الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَىٰ عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ»^(٢)، «أَمَّا الْعَالِمُ فَإِنَّهُ يُؤَوِّلُهَا لَهُ عَلَى الْخَيْرِ مَهْمَا أَمَكَنَهُ، وَأَمَّا النَّاصِحُ فَإِنَّهُ يُرْشِدُ إِلَى مَا يَنْفَعُهُ وَيُعِينُهُ عَلَيْهِ»^(٣)، أو يدلّه على مُعَبَّر.

(١) شرح السُّنَّة للبلغوي ٢١٣/١٢.

(٢) رواه الترمذي وصححه (٢٢٨٠)، وصححه كذلك الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٩).

(٣) فتح الباري ٣٦٩/١٢.

وفي رواية^(١): «وَلَا يُحَدِّثُ بِهَا إِلَّا لَبِيًّا أَوْ حَبِيًّا». قال الحافظ رحمه الله تعالى: وَالْأَوَّلَى الْجَمْعُ بَيْنَ الرُّوَايَتَيْنِ، فَإِنَّ اللَّيْبَ عَبْرٌ بِهِ عَنِ الْعَالَمِ، وَالْحَبِيبَ عَبْرٌ بِهِ عَنِ النَّاصِحِ. اهـ^(٢).

○ [المشروع لمن رأى حلمًا من الشيطان]:

أولاً: أن يتحول عن جنبه، حتى ولو كان على الجنب الأيمن فليتحول إلى الأيسر.

ثانياً: أن يستعيز بالله من الشيطان ثلاث مرات.

ثالثاً: أن يبصق عن شماله أثناء الاستعاذة.

لِمَا ثَبَتَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٣) عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَلَى يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ».

رابعاً: أن يستعيز بالله من شرّ الحلم.

خامساً: ألا يحدث به أحداً.

سادساً: أن يُوقِنَ بأنه لا يضره.

لِمَا ثَبَتَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ؛ فَإِنَهَا لَا تَضُرُّهُ».

سابعاً: أن يقوم فيصلي؛ لِمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ^(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفِيهِ: «فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيَصِلْ».

(١) عند الترمذي (٢٢٧٨)، صحيحها الألباني في صحيح الجامع الصحيح (٥٧٦٩).

(٢) فتح الباري ١٢/٣٦٩. (٣) (٢٢٦٢).

(٤) (٢٢٦٣).

○ [أقسام التعبير]:

يَنقسم تعبير الرؤى إلى قسمين:

القسم الأول: مَنَّةٌ وهبةٌ محضةٌ من الله تعالى.

فالأنبياء - ومنهم محمدٌ ويوسفٌ عليهم الصلاة والسلام - لم يتعلموا تعبير الرؤى من أحد، بل وهب الله لهم الفهم والفراسة، التي من خلالها عبَّروا للناس رؤاَهم.

ومما لا جدال فيه، أنَّ مَنْ يَمْتَلِك موهبةَ تعبيرِ الرؤيا، لا بدَّ أن يكون مُتَحَلِّياً بأمرين:

الأمر الأول: الدين وصلاح القلب.

الثاني: العلم بالقرآن والسُّنة، والعلم بالعلوم الأخرى المساعدة.

فلذا لم يثبت أنَّ أحدًا أعطي موهبةَ التعبير دون دراسةٍ وتعلُّم، إلا الأنبياء والأولياء العالمون بالكتاب والسُّنة والعلوم الشرعيَّة الأخرى.

وقد يَرِدُ على هذا أنَّ هناك مَنْ يُعبر وهو عاميٌّ لا علم عنده، بل بعضهم ليس من أهل الدين والعلم لا من قريبٍ ولا من بعيد؟

فالجواب: أنَّ مثل هؤلاء، يكون عندهم جانبٌ من تعبير الرؤيا، فيقع بعضٌ ما يَعْبُرُه وَيُخْبِرُ به، ولكن يُخْطِئ في كثيرٍ منها أو أكثرها.

فالعامي الذي يفسر الأحلام، إنما يُفسِّر الأنواع السهلة من الرؤى، ويُفسِّر ظاهرها أو قريباً منها.

فإن الرؤى تأتي على درجات، منها السهل الواضح، ثم الصعب الغامض، ثم الأصعب الأشدَّ غُمُوضًا، وهكذا. فتفسيره للرؤى السهلة لا يعني أنه يستطيع أن يفسر جميع الرؤى.

ولِتَقْرَيْبِ هذا للفهم، فالرجل الذي يُتقن صنعةً عن طريق التجارب والذوق؛ كالطبيب الشعبي، والمُهندس والصانع وغيرهم، تجدهم

يُجِيدُونَ مَا وَصَلْتُ إِلَيْهِ خَبَرْتَهُمْ، وَمَا يَجْهَلُونَهُ أَكْثَرُ مِمَّا يَعْرِفُونَهُ، وَرَبَّمَا حَصَلَتْ مِنْهُمْ أَخْطَاءٌ كَثِيرَةٌ.

لَكِنَّ الَّذِي اكْتَسَبَ هَذِهِ الْمِهَنَ وَالْحِرَفَ عَنْ طَرِيقِ الْعِلْمِ وَالْخَبَرَةِ، وَالْهُوَايَةِ وَالتَّجَرُّبَةِ، وَقَرَأَ وَبَحَثَ وَأَخَذَ الْعِلْمَ مِنْ مَعْدَنِهِ، وَقَامَ بِالتَّجَارِبِ بِنَفْسِهِ، سَيَتَفَوَّقُ عَلَى الْأَوَّلِينَ وَلَا شَكَّ.

وكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْسِرُونَ الْأَحْلَامَ فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَيُظْهِرُونَ فِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْمُخْتَلِفَةِ، كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْثَرُهُمْ، اعْتَمَدَ عَلَى خَبَرَتِهِ وَذَوْقِهِ، وَاغْتَرَّ بِمَعْرِفَتِهِ تَفْسِيرَ بَعْضِ الْأَحْلَامِ السَّهْلَةِ، فَظَنَّ أَنَّهُ يَعْرِفُ تَفْسِيرَ جَمِيعِ الْأَحْلَامِ، فَافْتَحَمَ هَذَا الْعِلْمَ وَأَخْطَأَ فِيهِ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ - بَعْدَ اسْتِقْرَاءِ أَحْوَالِهِمْ وَتَعْيِيرَاتِهِمْ - خَطُؤُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ صَوَابِهِمْ.

القسم الثاني: ما كان من العبد طلباً وكسباً:

وهذا هو الأصل، ولا سبيل إلى نيل أيّ فضيلةٍ إلا بالعلم. وإذا صدق المعبر مع الله تعالى، وتعلم العلوم الشرعية وما يُعِينُ عَلَيْهَا، وَاشْتَغَلَ بِهَذَا الْفَنِّ عِلْماً وَتَعْيِيراً، أَكْسَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِرَاسَةً وَفُطْنَةً، وَهَذَا هُوَ الْمَسْلَكُ الصَّحِيحُ، بِخِلَافِ مَا يَدَّعِيهِ الْبَعْضُ بِأَنَّهُ اكْتَسَبَ تَعْيِيرَهُ عَنْ طَرِيقِ الْإِلْهَامِ.

○ [هل تعبير الرؤى إلهام أم علم مكتسب؟]:

الصواب المقطوع به: أَنَّ مَلَكَهَ التَّعْيِيرِ لَا تَأْتِي إِلَّا مِنْ طَرِيقَيْنِ:
الطريق الأول: الموهبة والفطنة والفِرَاسَةُ، كَمَا قَالَ الرَّاعِبُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «وَمِنَ الْفِرَاسَةِ عِلْمُ الرُّؤْيَا»^(١).

وهي التي عبّر عنها القرافي رحمه الله تعالى بِقُوَّةِ نَفْسٍ.

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ١٤٦.

وهذا هو الأصل في تحصيل هذه المَلَكَة، ويجد بعض الناس منذ صغره مَيْلًا إلى التعبير، وفهمًا فطريًا في ذلك. لكن لا يُمكن أن تقوى فيه هذه المَلَكَة إلا إذا غذاها بالعلم والدُّرْبَة والتقوى والورع.

الطريق الثاني: التَّعَلُّمُ ومُجَالَسَةُ وسؤال أهل التعبير المتقين.

فتعبير الرؤيا يُمكن أن يُكتسب، ولو لم تنشأ عنده هذه الغريزة والميلول للتعبير في الصغر، لكن مع كثرة القراءة في هذا العلم، وطول المُمَارَسَة في تعبير الرؤى تتكوَّن لديه ملكة التعبير. ونستطيع أن نقول:

- هو علمٌ يُدرَس، وَيَتَقَوَّى بالفِرَاسَة والفِطْنَة - التي تُكتسب أيضًا مع كثر المِرَان والخبرة -.
- وهو موهبةٌ وفِرَاسَةٌ وفِطْنَةٌ، تقوى بالعلم وطول الخبرة.
- وأقرب شبه له الشعر، وتوضيح شَبَهه به من خلال الجدول التالي:

| الرقم | وجه التشابه بين الشعر والتعبير |
|-------|--|
| ١ | ينشأ مع الإنسان منذ صغره، بحبه وميله له، وكذلك التعبير. |
| ٢ | أنّ هذه موهبة الشعر لا تُسمى إلهامًا، بل ذكاءً وموهبةً وفِطْنَةً، وكذلك التعبير. |
| ٣ | من المُسَلِّمات: أنّ مَنْ أُعْطِيَ موهبة الشعر منذ صغره لن يقتصر على الموهبة وحدها، بل لا بد أن يُضِيفَ إليها أُمُورًا تُؤَهِّلُه لأن يكون من فطاحلة الشعراء، منها: <ul style="list-style-type: none"> ١ - الاستفادة من خبرات من سبقه. ٢ - تقوية لسانه ولُغَتِهِ. ٣ - معرفة الصحيح من الشعر وزنًا وقافيةً وأسلوبًا. وهذه الأمور الثلاثة لن يكتسبها إلا بوسيلتين: الوسيلة الأولى: مُجَالَسَة الشعراء بمختلف توجّهاتهم والاستماع لهم. الوسيلة الثانية: قراءة دواوين الشعراء. وكذلك التعبير. |

| الرقم | وجه التشابه بين الشعر والتعبير |
|-------|--|
| ٤ | أَنَّ هُنَاكَ مَنْ لَمْ يُعْطِ مَوْهَبَةَ الشَّعْرِ فِي صَغُرِهِ، وَلَكِنَّهُ أَحَبَّهُ وَمَالَ إِلَيْهِ فِي كِبَرِهِ، فَتَعَلَّمَهُ وَدَرَسَهُ، وَأَكْثَرَ الِاسْتِمَاعَ وَالْقِرَاءَةَ فِيهِ، فَإِنَّهُ وَلَا شَكَّ سَيُصْبِحُ شَاعِرًا يُنْتَفِعُ بِشَعْرِهِ، وَلَكِنْ لَنْ يَكُونَ مِثْلَ الْأَوَّلِ بَلَا رَيْبٍ. وَكَذَلِكَ التَّعْبِيرُ. |
| ٥ | أَنَّ مَنْ يَقْتَصِرُ عَلَى الْمَوْهَبَةِ وَحْدَهَا، وَيَنْشَأُ جَاهِلًا مُعْتَمِدًا عَلَى ذَوْقِهِ فَقَطْ: لَنْ يَكُونَ مُتَمَكِّنًا وَقَوِيًّا فِي الشَّعْرِ، بَلْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ شَعْرُهُ صَحِيحَ الْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ وَالْأَسْلُوبِ، وَسَيَكُونُ رَكِيكًا مِنْ نَاحِيَةِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، وَهَذَا أَمْرٌ بَدْهِي. وَكَذَلِكَ التَّعْبِيرُ. |
| ٦ | أَنَّ مَنْ لَمْ يَمْتَلِكْ مَوْهَبَةَ الشَّعْرِ، وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ حَاسَةُ الذَّوْقِ الشَّعْرِيَّةِ، وَرَامَ تَعَلُّمَهُ لِيَكُونَ شَاعِرًا: لَنْ يَتِمَّ لَهُ ذَلِكَ مَا لَمْ تَنْشَأْ مَعَهُ هَذِهِ الْحَاسَةُ وَالذَّوْقُ. وَكَذَلِكَ التَّعْبِيرُ. |

وبهذا يزول إشكال كثير من الناس وخاصةً ممن يرى أن التعبير إلهامٌ، وهو أنه لو لم يكن إلهامًا لأصبح جميع العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المعبرين، فيقال: وهل هؤلاء العلماء كلهم شعراء؟

الجواب: لا، بل بعضهم لا يستطيع نظم بيتٍ واحدٍ صحيح.

فهل نقول بأنَّ مَنْ عِنْدَهُ مَوْهَبَةُ الشَّعْرِ مِنْ صَغُرِهِ بِأَنَّهُ مُلْهِمٌ؟ بِالتَّأَكِيدِ لَا، فَكَذَلِكَ نَقُولُ فَيَمُنْ أُعْطِيَ مَوْهَبَةَ التَّعْبِيرِ بِأَنَّهُ لَيْسَ مُلْهِمًا، وَلَكِنْ أُعْطِيَ حَاسَةً وَذَوْقَ التَّعْبِيرِ، كَمَا أُعْطِيَ الشَّاعِرُ حَاسَةً وَذَوْقَ الشَّعْرِ.

ولم يرد نصٌّ صحيحٌ صريحٌ في أَنَّ تَعْبِيرَ الرُّؤْيَا جُزْءٌ مِنَ النُّبُوَّةِ، كَمَا جَاءَ النَّصُّ فِي الرُّؤْيَا نَفْسِهَا^(١).

قال الحافظ رحمه الله تعالى: «لَمْ أَرَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَصْفَهُ - أَيِ: الْإِلْهَامِ - بِمَا وَصِفَتْ بِهِ الرُّؤْيَا أَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ النُّبُوَّةِ». اهـ^(٢).

(١) يُنْظَرُ: الْمَدْخَلُ لِعِلْمِ تَغْيِيرِ الرُّؤْيَا، ص ٥٩.

(٢) فَتْحُ الْبَارِي ٤٨٦/١٢.

أي أنّ الإلهام لا يُوصف بأنه جزءٌ من النبوة، فمن باب أولى لا يُوصف تأويل الرؤيا بأنه جزءٌ من النبوة.

أما ما يدّعيه بعضُ المعاصرين بأنَّ تعبير الرؤيا ليس علماً يُتعلَّم ويكتسب، وأنه مُجرّد إلهام يُلهِمُه الله من يشاء من عباده فهو من الغلط البين، وخاصةً تسميته بذلك، وذلك من وجوه^(١):

الوجه الأول: أن الإلهام في اللغة والاصطلاح - كما تقدّم -: أن يُلقى في نفس الإنسان أمرٌ أو علمٌ، بلا اكتساب منه أو فكر. والفراسة هي التي تأتي بعد إعمال فكر وعمل.

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى:

الفراسة : نوعان :

الأول: نوع يحصل للإنسان عن خاطر لا يعرف سببه^(٢)، وهو ضربٌ من الإلهام، وهو الذي يُسمى صاحبه المُحدّث.. وقد يكون هذا الإلهام حال اليقظة أو المنام.

وحقيقتها أنها: خاطر يهجم على القلب، يثبُّ عليه كوثوب الأسد على فريسته، وهذه الفراسةُ على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً فهو أحدُ فراسة.

والثاني: يكون بصناعة متعلّمه، وهي معرفة ما في الألوان والأشكال، وما بين الأمزجة والأخلاق، والأفعال الطبيعية، ومن عرف

(١) وقد أطلت في الرد على هذا القول المُحدّث، لِسببين:

الأول: أنني لم أجد من فنّد هذا القول بإسهاب، وناقش حججهم وأدلتهم.

الثاني: لشهرة هذا القول وكثرة القائلين به، حتى من بعض العلماء المتأخرين.

(٢) أما المعبر فهو يعرف السبب، وهو تأمله في الرؤيا وحال الرائي، وفهم الرموز، والربط بينها.

ذلك وكان ذا فهم ثابت قوي على الفراسة. اهـ^(١).

فمن ذا الذي يدّعي بأنّ علمه جاء عن طريق الإلهام، لم يكتسبه من تعلّم ولا سعى إليه وطلبه، فالواجب أن يتنزّه عن هذا كلّ إنسان.

الوجه الثاني: أن الله تعالى نصّ على أنه علم، فقال تعالى ليوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْئِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦].

فقال: «ويعلمك»، ولم يقل «يُلهِمُكَ»، والمقصود بتأويل الأحاديث: تعبير الرؤى عند عامّة المفسرين، وحكاية القرطبي إجماعاً.

ويُناجي ربه مُتَضَرِّعاً خاشعاً بقوله: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١].

ولم يقل: أَلْهَمْتَنِي، ومن الخطأ الفادح أن يؤولها بعض المعبرين المعاصرين بذلك، ولم أجد أحداً من العلماء أو المفسرين أو اللغويين من فسرّها بذلك.

أفلا يسع هؤلاء ما وسع يوسف النبي، فيقولون بقوله؟

هو يقول: ربي علّمْتَنِي، وهم يقولون: ربي أَلْهَمْتَنِي!!

وإذا قال أحدٌ: من الله عليّ وعلمّني كيف أصنع، أو علمني علم التفسير أو نحو ذلك، هل يفهم أحدٌ أنّ الله تعالى خصّه بهذا العلم؟

لا، بل يفهمون أنّ الله وفقه لتعلمه ويسّر له الأسباب لذلك.

الوجه الثالث: أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بنى تعبيره على المعقول والقياس واشتقاق الأسماء، فقد صحّ عنه أنه قال: «رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ؛ كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ، فَأَتَيْنَا بَرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ، فَأَوَّلْتُ الرُّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا، وَالْعَاقِبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ».

رواه مسلم^(١).

تَأْوِيلُهُ ﷺ لهذه الرؤيا، هو «قَانُونُ قِيَاسِ التَّعْبِيرِ عَلَى مَا يَرَى فِي الْمَنَامِ بِالْأَسْمَاءِ الْحَسَنَةِ، فَقَدْ أَخَذَ الْعَاقِبَةُ مِنْ لَفْظِ عُقْبَةٍ، وَالرَّفْعَةُ مِنْ رَافِعٍ، وَطَيْبَ الدِّينِ وَكَمَالَهُ مِنْ طَابٍ»^(٢).

ولو كان تأويل الرؤى مُجَرَّدَ إلهامٍ يخطر على بال المُعْبِّرِ، بلا أصولٍ يرجع إليها، ولا قواعد يرتكز عليها، ولا ربطٌ بين أجزاء الرؤيا، لَمَا أخبرهم من أين جاء تعبيره، واكتفى بتأويلها فقط.

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا عَلَى الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْوَالِ. اهـ^(٣).

بل كان ﷺ يسأل الصحابة عن رؤاهم لِيُتَقَصَّ عليه وَيُعْبَرْهَا؛ وذلك لِحُكْمِ كَثِيرَةٍ مِنْهَا: أَنْ يُعْلَمَ أَصْحَابُهُ كَيْفَ الْكَلَامُ فِي تَأْوِيلِهَا. وقد نصَّ على ذلك - كما تقدّم - ابن عبد البرّ والنووي والقرطبي وغيرهم رحمهم الله.

الوجه الرابع: أنّ هذا هو رأي الأئمة الأعلام، ومعبري الأحلام، وهذا لا خلاف بينهم فيما أعلم، وقد نصَّ عليه العلامة ابن القيم، وابن سعدي، والشنقيطي وابن عثيمين، وغيرهم رحمهم الله تعالى.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: فَإِنْ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَا مَبْنَاهَا عَلَى الْقِيَاسِ وَالِاعْتِبَارِ وَالْمَشَابَهَةِ وَالْمُنَاسِبَةِ. اهـ^(٤).

(١) (٢٢٧٠).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح عِلَالِهِ ومشكلاته ٢٥١/١٣.

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٣٠٧/٣.

(٤) بيان تلبس الجهمية ٣٢٥/١.

ولم يقل: مبناها على الإلهام، أو الفراسة وحدها، بل هي جزء منها.

وقال المناوي رحمه الله تعالى: لكل علم أصول لا تتغير، وأقيسة مطردة لا تضطرب إلا تعبير الرؤيا، فإنها تختلف باختلاف أحوال الناس، وهيئاتهم، وصناعاتهم، ومراتبهم، ومقاصدهم، ومللهم، ونحلهم، وعاداتهم. اهـ^(١).

فذكر أن تعبير الرؤيا لها أصول، ولكنها تختلف وتتغير.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى - بعد أن ذكر جملة من الرموز المستقاة من الكتاب والسنة -: وَبِالْجُمْلَةِ فَمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَمْثَالِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا أَصُولٌ وَقَوَاعِدُ لِعِلْمِ التَّعْبِيرِ لِمَنْ أَحْسَنَ الْإِسْتِدْلَالَ بِهَا، وَكَذَلِكَ مَنْ فَهِمَ الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يُعَبِّرُ بِهِ الرُّؤْيَا أَحْسَنَ تَعْبِيرٍ.

وَأَصُولُ التَّعْبِيرِ الصَّحِيحَةِ إِنَّمَا أُخِذَتْ مِنْ مُشْكَاةِ الْقُرْآنِ. اهـ^(٢).

فنص على أن هذا العلم له قواعد وأصول.

وقد قال العراقي في «طرح الثريب» في شرح التقريب^(٣): «الْمَنَامُ يَرْجِعُ إِلَى قَوَاعِدَ مُقَرَّرَةٍ وَلَهُ تَأْوِيلَاتٌ مَعْرُوفَةٌ وَيَقَعُ لِأَحَادِ الْمُسْلِمِينَ». اهـ.

وسئل العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «هل صحيح أن تعبير الرؤى إلهام من الله؟

فأجاب رحمه الله تعالى: تعبير الرؤى ليس عن كون الإنسان عالماً أو ذكياً، لكنه فراسة وممارسة للأشياء، وربط الأشياء بعضها ببعض^(٤).

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ - في معرض حديثه عن

(١) فيض القدير ٤/٤٩.

(٢) أعلام الموقعين ١/١٤٨.

(٣) ٢١٣/٨.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤/٣٦٩.

استنباط العلماء علومهم من القرآن على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم :-
 وَاسْتَنْبَطَ قَوْمٌ مِمَّا فِيهِ مِنْ أَصُولِ التَّعْيِيرِ، مِثْلَ مَا وَرَدَ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ: مِنْ
 الْبَقَرَاتِ السَّمَانِ، وَفِي مَنَامِي صَاحِبِي السَّجْنِ، وَفِي رُؤْيَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
 وَالنُّجُومِ سَاجِدَاتٍ، وَسَمَوُهُ «تَعْيِيرَ الرُّؤْيَا»، وَاسْتَنْبَطُوا تَفْسِيرَ كُلِّ رُؤْيَا مِنْ
 الْكِتَابِ، فَإِنْ عَزَّ عَلَيْهِمْ إِخْرَاجُهَا مِنْهُ فَمِنْ السُّنَّةِ الَّتِي هِيَ شَارِحَةُ الْكِتَابِ،
 فَإِنْ عَسَرَ فَمِنْ الْحِكْمِ وَالْأَمْثَالِ، ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى اصْطِلَاحِ الْعَوَامِّ فِي
 مُحَاطَبَاتِهِمْ، وَعُرِفَ عَادَاتِهِمْ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأُمِرُّ بِالْعُرْفِ﴾
 [الأعراف: ١٩٩]. اهـ (١).

فأثبت أن لهذا العلم أصولاً، وهي:

١ - الْكِتَابُ.

٢ - السُّنَّةُ.

٣ - الْحِكْمُ وَالْأَمْثَالُ.

٤ - اصْطِلَاحُ الْعَوَامِّ وَعُرْفُ عَادَاتِهِمْ.

وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: اعْلَمْ أَنَّ تَأْوِيلَ الرُّؤْيَا يَنْقَسِمُ
 أَقْسَامًا:

١ - فَقَدْ يَكُونُ بِدَلَالَةٍ مِنْ جِهَةِ الْكِتَابِ.

٢ - أَوْ مِنْ جِهَةِ السُّنَّةِ.

٣ - أَوْ مِنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ بَيْنَ النَّاسِ.

٤ - وَقَدْ يَقَعُ التَّأْوِيلُ عَلَى الْأَسْمَاءِ.

٥ - وَالْمَعَانِي.

٦ - وَقَدْ يَقَعُ عَلَى الضُّدِّ وَالْقَلْبِ. اهـ^(١).

ولم يُضيفا إلى تَقْيِيرِ الرُّؤْيَا: الإلهام، ولو كان صحيحًا لذكراه هما أو غيرهما من العلماء.

فلا بدّ للمعبر من مُستندٍ لتعبيره من هذه الأصول، ولا يُمكن أن يكون المُستند مُجردَ الظنِّ والتخمين الذي يلوح في الخاطر.

الوجه الخامس: أنّ العلماء قديمًا وحديثًا ألفوا في الرُّؤْيِ والأحلام، وذكروا الرَّمُوزَ وشرحوها وأصلوها، ولو كانت لا فائدة منها، وأنّ المُعَبِّرَ يستغني بالإلهام المزعوم عنها، لَمَّا ذكروها وألفوا المُجَلَّدَاتِ الضَّخْمَةَ فيها، وَلَمَّا أَرَهَقُوا أَنْفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ بِهَا، فهل كان هؤلاء على ضلال؟.

والعجب والله ممّن يتنقص جهودهم، ويزدري تأليفهم، ويقلل من شأنهم.

فقد أَلَّفَ علماءُ الإسلام كتبًا كثيرة في التعبير، وسأذكر بعضًا منهم لا على سبيل الحصر:

١ - الشيخ إبراهيم بن عبد الله الكرمانى^(٢)، الذي توفي في أواسط القرن الثاني.

(١) شرح السُّنَّة ١٢/٢٢٠.

(٢) في كتابه: الدستور في التعبير، وهو من أوائل الكتب الإسلامية المؤلفة في علم التعبير، ولم تُعرف وفاته، لكنه كان معاصرًا للخليفة المهدي العباسي، وفسر له بعض الرُّؤْيَى.

والمهدي تُوفي عام ١٦٩، هو ثالث خلفاء الدولة العباسية. والكتاب غير متوفر، لكن يوجد في المكتبة الأهلية بباريس مختصر لهذا الكتاب برقم (٢٧٥٨) لمحمد بن علي الصقلي الملقب بالحاج الشاطبي. كما أشار إلى ذلك بعضُ الباحثين.

- ٢ - الإمامُ ابنُ قُتَيْبَةَ^(١) المتوفى سنة (٢٧٦).
 - ٣ - أبو عبد الله الكرمانى المتوفى سنة (٣٢٩).
 - ٤ - العلامةُ القادري المتوفى سنة (٤٠٠)^(٢).
 - ٥ - العلامةُ شهابُ العابر المتوفى سنة (٦٩٨)^(٣).
 - ٦ - العلامةُ إبراهيم بن يحيى بن غنام المتوفى سنة (٧٧٩)^(٤).
 - ٧ - أبو عبد الله السَّالِمِي (المتوفى: ٨٠٠هـ)^(٥).
 - ٨ - خليل بن شاهين الظاهري، المتوفى عام: (٨٧٣)^(٦).
 - ٩ - أبو طاهر الحراني المقدسي، الفقيه الحنبلي المُعَبَّر، المتوفى في القرن الثامن.
 - ١٠ - العلامةُ ابنُ الورديّ، وقد وضع قصيدةً طويلةً بألف بيت^(٧).
 - ١١ - المُعَبَّرُ النَّابِلِسِيُّ المتوفى عام: (١١٤٣)^(٨).
- وقد ذكر العلامةُ خليل شاهين الظاهريّ، أنه اعتمد في كتابه على ما يزيد على عشرين كتابًا، ذكرها بأسمائها في مقدّمته^(٩).
- وهم يذكرون في هذه الكتب الرموز كلّها أو أغلبها بالتفصيل، فيذكرون مثلاً الثعبان فيقولون: إن رآه في لون كذا، دلّ على كذا، ورؤيته مُقْبَلًا يختلف عن رؤيته مُدْبِرًا، وقاتلاً يختلف عن رؤيته مقتولًا، وهكذا في جميع الرموز.

(١) وكتابه مطبوعٌ، واسمه: تعبير الرؤيا.

(٢) وكتابه: التعبير في الرؤيا، وهو مجلّدان ضخمان.

(٣) وكتابه: البدر المنير في علم التعبير. (٤) وكتابه: تعبير الرؤيا.

(٥) وكتابه: الإشارة إلى علم العبارة (مخطوط).

(٦) وكتابه: الإشارات في علم العبارات.

(٧) المُسمّاة: الألفية الوردية في تعبير الرؤيا.

(٨) وكتابه: تعطير الأنام في تعبير المنام. (٩) ص ٢٤ - ٢٥.

وهناك من حفظ آلاف الصفحات من هذا العلم، ممّا يدلّك على كثرة المصنّفات فيه، واهتمام العلماء به، قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى: ذكر لي أبو محمد بن الأكفاني، عن حيدة بن علي بن الحسين، أن عبد العزيز بن علي كان يحفظ من علم الرؤيا عشرة آلاف ورقة! ^(١).

ثم قال في ترجمة حيدة بن علي بن الحسين - تلميذ عبد العزيز بن علي -: وكان يذكر أنه يحفظ في عِلْمِ تعبِيرِ الرؤيا عشرة آلاف ورقة وثلاثمائة ونيّف وسبعين ورقة. اهـ. ^(٢).

أي: أنّه زاد على أستاذه عبد العزيز بن علي، بحفظ ثلاثمائة ورقة ونيّف وسبعين ورقة في علم تعبِيرِ الرؤيا.

وإنك لتعجب من أحد المعبرين، حينما يتباهى بأنّه لم يرجع إلى ما كتبه علماء السلف والخلف، بل يستمدّ تأويل الرُّؤْي من إلهام الله له، فما أقبح التفاخر بالجهل، وتزكية النفس.

سمعتُ أحدهم يحلف الأيمان المُغلظة، بأنّه ما رجع إلى أيّ: كتاب سوى فتح الباري لابن حجر!!

بل ويحدّر من جميع الكتب جملةً وتفصيلاً.

عجباً والله من ذلك! متى أصبح العلم وصمة عار! ومتى أصبح الجاهل يتفاخر بجهله على العالم!

وهل فتح الباري هو العلم كلّ؟ ماذا عن الأحاديث الأخرى التي في غيره، ألا تستحقّ القراءة والعناية بها؟

ماذا عن القرآن؟ ألا يستحقّ أن يُعتنى به - وخاصة الآيات التي تتحدث عن الرُّؤْي -؟!

(١) تاريخ دمشق ٣٦/٣١٨، رقم الترجمة (٧٣٥٤).

(٢) تاريخ دمشق ١٥/٣٨٢، رقم الترجمة (١٨٤٧).

وقد سمعتُ الكثير منهم يُصرح بأن تعبيرهم عن إلهام من الله تعالى!! فهم ألبسوا أنفسهم لباس القداسة، ومنحوا أنفسهم صفات الأولياء، وزكّوا أنفسهم ورفعوها فوق كل الناس.

ولا غرابة حينما ترى في هؤلاء من العُجب والكِبَر الشيء الكثير؛ لأنهم هم - كما يزعمون - المُلهَمون والمُصطفون من الله تعالى، لا يُسألون كيف يُؤوّلون ويُعبّرون؛ لأنهم يُؤوّلون بوحى من الله مباشرة! أي خرافاتٍ جاء بها هؤلاء، وأي بدعةٍ شنيعةٍ ارتكبوها!

وهم يُدندنون حول الإلهام، وقد أجمع أهل اللغة وغيرهم، على أنّ الإلهام هو ما يكون بغير كسبٍ ولا عملٍ ولا تفكير، بل يُقذف في القلب يقينٌ واعتقادٌ بغير اختياره، فيجري على لسانه كلامٌ يُبهر العقول. والعجيبُ أنّ الكثير من العامة لا سيّما النساء، يتلقّفون تعبيره وكأنه وحيٌّ من السماء.

وقد كان تعبير الأنبياء مبنياً في الأصل على رموز الرؤى - مع ما أيدهم الله من الوحي - فيوسفُ عليه السلام عبّر للملِك رؤياه من خلال رموزها، وهكذا فعل يعقوبُ عليه السلام حين قصّ عليه يوسفُ رؤياه: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، «أولّها يعقوبُ بأنّ الشمس: أمّه، والقمر: أبوه، والكواكب: إخوته، وأنه ستنتقل به الأحوال إلى أن يصير إلى حال يخضعون له، ويسجدون له إكراماً وإعظماً، وأن ذلك لا يكون إلا بأسباب تتقدمه من اجتباء الله له، واصطفائه له، وإتمام نعمته عليه بالعلم والعمل، والتمكين في الأرض»^(١).

(١) تفسير السعدي ١/٣٩٣.

فنلاحظ أنهما اعتمدا على الرموز وما جاء في الرؤيا .

وكذلك فَعَلَ رسولنا ﷺ كما في الحديث السابق، حيث أَخَذَ الْعَاقِبَةَ مِنْ لَفْظِ عُقْبَةٍ، وَالرَّفْعَةَ مِنْ رَافِعٍ، وَطَيَّبَ الدِّينَ وَكَمَالَهُ مِنْ طَابَ .

وكذلك كان يفعل الصحابة رضي الله عنهم، فهذا أبو بكر رضي الله عنه يعبر رؤيا الرجل الذي أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطُفُ السَّمْنُ وَالْعَسَلُ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا، فَأَلْمُسْتُكَثِرَ وَالْمُسْتَقِيلَ، وَإِذَا سَبَبٌ وَاصِلٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ ثُمَّ وَصِلَ .

عبرها بقوله: أَمَّا الظُّلَّةُ فَالْإِسْلَامُ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطُفُ مِنَ الْعَسَلِ وَالسَّمْنِ فَالْقُرْآنُ، حَلَاوَتُهُ تَنْطُفُ، فَأَلْمُسْتُكَثِرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْمُسْتَقِيلُ، وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَالْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللَّهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ، ثُمَّ يَوْصِلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ .

وجاء ذلك عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم، لما قبض النبي ﷺ وارتدت العرب، فخرج الطفيل الدوسي مع المسلمين وساروا حتى فرغوا من طليحة وأرض نجد كلها إلى أن وصلوا إلى اليمامة، فنَامَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَرَأَى كَأَن رَأْسَهُ حَلَقَتْ، فَخَرَجَ مِنْ فِيهِ طَائِرٌ، وَكَأَن امْرَأَةً أَدْخَلَتْهُ فِي فَرْجِهَا، وَابْنُهُ يَطْلُبُهُ طَلَبًا حَثِيثًا، وَأَنَّهُ حُبَسَ فِيهِ، فَقَصَّ رُؤْيَاهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالُوا: خَيْرًا، فَقَالَ: أَعْبَرُ هَذِهِ الرُّؤْيَا، أَمَا حَلَقَ رَأْسِي فَوَضَعَهُ، وَأَمَا الطَّائِرُ الَّذِي خَرَجَ مِنْ فَمِي فَرُوحِي، وَالْمَرْأَةُ الَّتِي أَدْخَلْتَنِي فِي فَرْجِهَا فَهِيَ الْأَرْضُ، وَحَبَسَنِي فِيهِ هُوَ الْقَبْرُ الَّذِي أَلْبَثَ فِيهِ، وَالْوَلَدُ الَّذِي يَطْلُبُنِي قُرْبَمَا يُصِيبُهُ مَا أَصَابَنِي، فَقَتَلَ الطُّفَيْلُ شَهِيدًا، ثُمَّ أَصَابَ

وَلَدَهُ كَذَلِكَ عَامَ الْيَرْمُوكِ^(١).

وهكذا كان يُعَبِّرُ التابعون رحمهم الله تعالى ومن بعدهم، ومن تتبع تعبير إمام المعبرين في زمانه ابن سيرين علم ذلك.

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ سِيرِينَ وَقَالَ: رَأَيْتُ عَسَلًا مِنْ لَبَنِ جِيٍّ حَتَّى وَضَعَ، ثُمَّ جِيَّ بَعْسَلٍ آخَرَ فَوَضَعَ فِيهِ فَوْسَعَهُ، وَصَبَّ عَلَيْهِ رَغْوَةً، فَجَعَلَتْ أَنَا وَأَصْحَابِي نَأْكُلُ مِنْ تِلْكَ الرَغْوَةِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ رَأْسُ جَمَلٍ، فَجَعَلْنَا نَأْكُلُ مِنْهُ أَيْضًا.

فَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: بئس ما رَأَيْتَ لَكَ ولأصحابك، أما اللَّبَنُ فالنَّظَرَةُ، وأما الَّذِي صَبَّ فِيهِ فَوْسَعَهُ فَمَا دَخَلَ فِي النَّظَرَةِ مِنْ شَيْءٍ، وَأما أَكْلُكُمْ رَغْوَتَهُ فَإِنَّهُ يَذْهَبُ جُفَاءً لَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ [الرعد: ١٧]، وأما البَعِيرُ فَأَعْرَابِيٌّ، وَرَأْسُهُ تَوُولُ بَرْنِيسِ الْعَرَبِ، وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَأَنْتُمْ تَغْتَابُونَهُ، وَالْعَسَلُ شَيْءٌ تَرِينُونَ بِهِ كَلَامَكُمْ^(٢).

وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا قَائِمًا فِي وَسْطِ مَسْجِدٍ مُتَجَرِّدًا وَبِيَدِهِ سَيْفٌ مُسْلُولٌ، فَضَرَبَ بِهِ صَخْرَةً فَفَلَقَهَا، فَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي رَأَيْتَهُ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ، قَالَ الرَّجُلُ: هُوَ وَاللَّهِ هُوَ. قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: قَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ الَّذِي تَجَرَّدَ فِي الدِّينِ، فَإِنَّ الْمَسْجِدَ يَدُلُّ عَلَى الدِّينِ، وَإِنَّ السَّيْفَ يَدُلُّ عَلَى اللِّسَانِ، وَإِنَّ الصَّخْرَةَ تَدُلُّ عَلَى قَلْبِ الْمُنَافِقِ، وَفَلَقَهُ ذَلِكَ كَلَامُهُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ تَأْثِيرٌ فِي قُلُوبِ

(١) ذكرها جلّ أصحاب السيرة وغيرهم، زاد المعاد ٥٤٥/٣، السيرة النبوية لابن كثير ٧٦/٢، دلائل النبوة للبيهقي ٣٦٢/٥، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: هكذا ذكر محمد بن إسحاق قصة الطفيل بن عمرو مرسلة بلا إسناد.

ولخبره شاهد في الحديث الصحيح.

(٢) الإشارات، ص ٨٦٨.

الْمُنَافِقِينَ^(١).

والأمثلة في ذلك كثيرةٌ لا تُحصى، فهكذا كان يُعبر هؤلاء المعبرون من الأنبياء والصحابة والتابعين ومن بعدهم، وتعبيرهم - كما ترى - منطقيٌّ واضحٌ القياس والشبه، ولا غرابة فيه.

فمن هم قدوة هؤلاء الملهمون؟

الوجه السادس: أنا نجد العلماء مع ذِكْرِهِم للرموز يُوضحون أوجه الشبه والقياس، وهذا ما كان يفعلُه إمام المعبرين في زمانه الإمام الشهاب العابر، وأضرب لذلك مثلاً: قال رحمه الله تعالى:

الأرض: تدل على الأب والأم والزوجة والمعيشة والقربة والدواب وكل من فيه نفع، فَمَنْ مَلَكَ أرضاً مليحة أو زرعها نال فائدة مَمَّن ذكرنا، وأما من زالت الأرض من تحته فارق مَن ذكرنا.

ثم قال: دلت الأرض على الأبوين؛ لكون الإنسان خلق منها. وعلى الزوجين؛ لأجل الحرث، والوطء كالنكاح، والنبات منها كالولد.

وعلى المعاش والفوائد؛ لانتفاع الناس والمخلوقات عليها وبها. وعلى الدواب كذلك.

ولمن عبر فيها على السفر فإن كان مريضاً فهو سفر للآخرة، وإن كان سليماً فهو سفر فيه من الخير والشر على قدر ما وجد فيها.

وربما دل ذلك على الأرض والشجر وضيق النفس فافهم ذلك. اهـ. وهكذا يفعل في كلِّ تعبيراته غالباً، والأمثلة منه ومن غيره كثيرةٌ جداً.

(١) الإشارات، ص ٤٢٩.

ولو كان مُجَرَّد إلهام لَمَا احتاج إلى ذلك هو ولا غيره من العلماء .
وأضرب مثلاً مُعاصراً: سُئِلَت امرأةٌ غيرُ متعلّمة، عندها اهتمامٌ
بتعبير الرؤى، عن امرأةٍ رأت في منامها أنها في حرب، ومعها أولادُها،
فجاءها زوجها، فقال لها: اذهبي إلى ذلك المكان الآمن، فقالت:
فاًصحبنا أنت، فقال: سأتيكم بعد ذلك.

فقالت: هذه امرأةٌ حصل بينها وبين زوجها مُشكلةٌ طارئة،
وسيركها زوجها في بيت أهلها.

فقالت السائلة: هكذا حصل تماماً.

ثم سألت مُعبراً درس هذا العلم بتعمّق فأجاب قريباً من جوابها،
إلا أنّ جوابها كان أدقّ وأصوب.

فهل تعبیر المرأة للرؤيا من قبيل الإلهام والاصطفاء؟ أم أنها
أعملت عقلها وفكرها، وقاست هذه الرؤيا الخيالية، بما يُشابهها في
الواقع؟

الجواب: الثاني ولا شك.

مثال آخر: سُئِلَ الشهابُ العابر رحمه الله تعالى: «رأيت أنني
ملكيت جماعةً من بني آدم، فقال: تحسن إلى الناس».

أخذ ذلك من قول الشاعر: أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم.

قال: «ومثله قال آخر رأيت أنني ملكيت جماعةً من بني آدم صاروا
تماسيح، قلت: يكافؤك من تحسن إليه مكافأة التماسح».

وذلك أنّ التماسح مهما أحسنت إليه فإنه لا يراه إحساناً، ويُسيء
إلى صاحبه، وربما قاسه على المعنى الآتي.

قال: «وقال آخر: رأيت أن رأسي صار رأس تمساح.

قلت: تُسيء إلى من يحسن إليك.

ودليله أن التماسح يقع في فمه دود ويصعد إلى البر ويفتح فاه، فيرسل الله إليه طائرًا فيلقط ذلك الدود، فإذا فرغ طبق فاه على الطائر فيهلك، فلذلك يُقال: مكافأة التماسح».

فنرى أن الشهاب والمرأة والمعبر الذي درس هذا العلم عِلِمُوا أسرار الناس وخفاياهم، لكنها ليست بإلهام من الله أو الملائكة، بل بنظرهم إلى هذه الرموز، وربطهم بينها، وإعمالهم عقولهم ونظرهم.

فمن يزعم بأن تعبيره إلهام: فمقتضى كلامه - حسب اللغة العربية والاصطلاح -: أنه لا ينظر إلى الرموز ولا إلى حال الرائي، وهم في تعبيراتهم للمنامات لا يقولون بذلك باتفاقهم.

إذن: قولهم بأن تعبيرهم إلهام خطأ، بل هو إعمال ذهن وفهم أعطوه، كما يُعطاه كل أحد، في أي: فن أو عمل أتقنه وأبدع فيه.

الوجه السابع: أنه لم يقل بذلك أحد من أهل العلم فيما مضى - حسب علمي -.

وقد ذكرتُ بعض أقوال أهل العلم الذي نضُّوا على أنه علم يُتعلَّم، وأنه كان ضمن المناهج الشرعية في وقت سابق، بل إن ابن القيم درسه على شيخه.

فالقول بأنه إلهام قولٌ مُحدثٌ مُبتدع، يقودُ إلى تقديس الأشخاص، والغرور والعجب، والتلاعب في رؤى الناس؛ لضمانه أنه لن يُسأل من أين أتى بتعبيره؛ لأنه عبَّر بإلهام من الله مباشرة!

وقد نصَّ العلماء على أن الإلهام والرؤيا في المنام من أقسام الوحي، لا أن التعبير من أقسام الإلهام أو الوحي.

قال النووي في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١]: وَلَكِنَّ الْجُمْهُورَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَحْيِ هُنَا الْإِلْهَامُ

وَالرُّؤْيَا فِي الْمَنَامِ، وَكِلَاهُمَا يُسَمَّى وَحْيًا. اهـ^(١).
فَالْوَحْيُ الشَّرْعِيُّ - لَا اللَّغْوِيُّ - خَاصٌّ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَالْإِلْهَامُ وَالرُّؤْيَا
الصَّادِقَةُ تَقَعُ أحيانًا لِلأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.
وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ وَجُوهًا مِنْ الْخَصَائِصِ الْعِلْمِيَّةِ لِلْأَنْبِيَاءِ، قَالُوا:
فَأَعْلَاهَا: تَكْلِيمُ اللَّهِ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ.

ثَانِيهَا: الْإِلْهَامُ بِلَا كَلَامٍ، بَلْ يَجِدُ عِلْمُ شَيْءٍ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمِ
مَا يُوصِلُ إِلَيْهِ بِحَسٍّ أَوْ اسْتِدْلَالٍ.

ثَالِثُهَا: الْوَحْيُ عَلَى لِسَانِ مَلَكٍ يَرَاهُ فَيَكَلِّمُهُ..
وَذَكَرُوا مِنْهَا: تَأْوِيلُ الرُّؤْيَا بِحَيْثُ لَا تُخْطِئُ.. اهـ^(٢).

فَتَأْوِيلُ الرُّؤْيَا يَخْتَلِفُ عَنِ الْإِلْهَامِ، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: نَحْنُ نَعْبَرُ
بِالْإِلْهَامِ! فَنَرَدُّ عَلَيْهِمْ: بِأَنَّ الْعُلَمَاءَ ذَكَرُوا أَنَّ الْإِلْهَامَ شَيْءٌ، وَتَعْبِيرُ الرُّؤْيَا
شَيْءٌ آخَرٌ، يَخْتَلِفُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ.
عِلْمًا أَنَّ الْمَقْصُودَ هُنَا: تَعْبِيرُ الرُّؤْيَا بِحَيْثُ لَا يُخْطِئُ، وَهَذَا خَاصٌّ
بِالْأَنْبِيَاءِ.

الوجه الثامن: أَنْ يَقَالَ لِمَنْ قَالَ بِأَنَّ الْإِلْهَامَ هُوَ الْأَصْلُ فِي تَعْبِيرِ
الرُّؤْيَا:

هَلْ تُعْبَرُ بِالْإِلْهَامِ - مِنْ اللَّهِ أَوْ مِنَ الْمَلِكِ - فِي كُلِّ الرُّؤْيَا الَّتِي
تُعْرَضُ عَلَيْكَ، أَمْ فِي بَعْضِهَا؟
فَإِنْ قَالَ: فِي كُلِّهَا.

قُلْنَا لَهُ: هَذَا يَعْنِي أَنَّكَ لَا تُخْطِئُ فِي تَعْبِيرِكَ أَبَدًا، وَكَيْفَ تُخْطِئُ فِي
تَعْبِيرِ أَلْهَمَكَ اللَّهُ إِيَّاهُ، لَكِنْ كَيْفَ لَا تُخْطِئُ وَقَدْ أَخْطَأَ أَفْضَلَ وَأَعْلَمَ

وأزكى البشر بعد الأنبياء: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كما مرّ سابقاً.

فهذا تزكيةٌ لك، ويلزم منه القدح فيه رضي الله عنه.

وإن قال: بل في بعضها:

قلنا: وكيف تُفرّق بين التعبير الذي جاء بإلهام وبين غيره؟

فإن قال: إذا وقعت بعد ذلك، أو كان التعبير موافقاً للواقع.

قلنا: فهناك من يقرأ بعض الكتب التي تُعنى بالرموز، ويُجيد فيها،

فيُسأل عن رؤيا فيُعبرّها، فتقع كما قال، فهل تعبيره هذا إلهام؟

فإن قال: نعم.

قلنا: هو عبّرها حسب القواعد والأصول التي تعلّمها، وتسميتك

إلهاماً خطأ ينقضُّ أصلك، وهو أنّ التعبير لا يأتي بالتعلم.

وإن قال: لا أسلم بهذا الحكم.

قلنا: من الذي يحكم بأنّ هذا يُعبّر بإلهام وذاك بغير إلهام؟

أم هو حكرٌ عليك وعلى من يُوافقك فقط؟

وما جوابك عن المثال الذي ذكرته سابقاً، وهو أنّ امرأةً من عامّة

الناس سُئلت عن امرأةٍ رأت في منامها أنها في حرب، ومعها أولادها،

فجاءها زوجها، فقال لها: اذهبي إلى ذلك المكان الآمن، فقالت:

فاضحبنّا أنت، فقال: سأتيكم بعد ذلك.

فقالت: هذه امرأةٌ حصل بينها وبين زوجها مُشكلةٌ طارئة،

وسيركها زوجها في بيت أهلها مُدّةً ثم يعود.

فقالت السائلة: هكذا حصل تماماً.

ثم سألت مُعبّراً درس هذا العلم بتعمّق فأجاب قريباً من جوابها.

وأمثالهما كثيرٌ مشهور، فأَيُّهما المُلهَم؟

ولو أنّ أحداً سمع مُعبّراً يُسأل عن رجلٍ رأى أنّ جملاً يُلاحقه،

فعبر رؤياه بأن رجلاً حاقداً يتربّص به، ثم رأى هذا الرجل نفس الرؤيا بعد ذلك، فعبرها لنفسه كما عبرها المعبر، فصدقت رؤياه، فهل تعبير هذا إلهام من الله؟

فإن أجاب بنعم، بطل قولكم؛ لأنه عبرها عن طريق التعلم والخبرة، لا عن طريق الإلهام.

وإن أجاب بلا، قلنا: بأيّ دليلٍ تحكم على أنّ هذا يُعبر بإلهام، وذاك بغير إلهام؟

ومن قال من العلماء - إنَّ وجد - بأنّ تعبير الرّؤى إلهام لا يقصد أنه إلهام الوحي قطعاً، ولكنه يربطه بين أجزاء الرؤيا، ومُحاولة فك رموزها، ومعرفة دلالاتها، فحينها يُلهم المعنى منها، ويتوصّل إلى تأويلها من خلال هذه الرموز.

فهم - بلا ريب - لا يعنون بالإلهام أنّ المُعبر يُعبر بلا قرائن ولا دلائل، وإنما يعنون أنّ من الناس من يخصّه الله تعالى بفطنة ودقّة يستطيع من خلالها استنباط ما لا يقدر عليه من لم يملك هذه الموهبة.

وهذا النوع من الفطنة والفراسة لا يختصّ بالمعبرين فقط، بل كلّ من أتقن علماً وتمرّس فيه بهواية وطول خبرة، لا بدّ أن يكتسب فطنة وفراسة في علمه وفنّه.

وأضرب لذلك مثلاً: يُعرّف أهل الحديث الحديث الصحيح بأنه ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه، من غير شذوذ ولا علة.

ويقصدون بعدم العلة: ألا يكون ظاهر الحديث معلولاً، بل ظاهره الصّحّة والسلامة من القادح، ومع ذلك فهم يُضعفون الحديث.

فالعلة سبب غامض خفي يقدر في صحة الحديث، مع أن الظاهر السلامة منه .

وهذا لا يكون إلا بفطنة وذكاء، أو طول تجربة وخبرة، لا من فراغ وزعم وادعاء بمعرفة العِلَل من دعوى إلهام جاء دون مُقَدِّمات .

وكذلك الحال في جميع الفنون والصناعات، نجد مُهندس السيارة البارِع، يعرف سبب خراب السيارة أحياناً دون فحص، بل برؤية خاطئة لها، أو نحو ذلك. وكذلك الطبيب الذكي الماهر، يعرف سبب المرض برؤية وجه المريض ومكان ألمه أحياناً، وقد يتوصّل للسبب والعلاج، في حين لم تتوصل الأجهزة الحديثة له، ولا الأطباء المشهورون. وما جاء هذا إلا من توفيق الله تعالى ثم من ذكائه وطول تجربته .

أحد الذين يستدلّون على أنهم يُعبرون بإلهام، يقول بأن رجلاً اتّصل عليه وقال بأن حذائي الأيمن منقطع، فقلت: هل سيارتك فيها عطل، فقال: نعم!

يقول: فقد شبهت الحذاء بالسيارة؛ لأن كليهما يُركب . .
وسبحان الله! هل يُقال بأنّ هذا دليل قاطع بأن تعبيره إلهام من الله تعالى؟

كلا، فإنه توصل إلى ذلك بإعمال عقله، وبالشبه والنظير الذي هو من أساسيات تعبير الرؤى .

وهذا لا يُسمى إلهاماً، بل فهماً واستنباطاً وقياساً، فقد قاس الحذاء على السيارة، فأين الإلهام الذي اختصّه الله به!!

والإلهام يأتي بدون كسب وعمل، وهو قد قام بعمل وتفكير وقياس .
ومثّل المُعَبِّرِينَ في إعطاء الرائي ما يُناسبه من تأويل رؤياه، وعلى حسب حاله ومنصبه؛ كالطبيب الحاذق، فإنه لا يُعطي المرضى دواءً

مُوحِداً، ولو اشتركوا بنفس العلة فيما يظهر، بل يُعطي هذا دواءً يُناسب حاله وصحته، ويُعطي الآخر ما يُناسبه.

فهل نقول: بأنه قد ألهم ذلك؟

لا، ولكنه فعل ذلك بأحد أمرين:

الأمر الأول: خبرته الطويلة، ودراسته وعمله الذي أوصله إلى ذلك.

الأمر الثاني: تشخيصه للمرض، ومعرفة حال المريض وما يضره وما ينفعه من الدواء.

وهكذا المعبر، يأتيه رجلان يُخبرانه بنفس الرؤيا، فيعبر لأحدهما بشيء، ويُعبر للآخر بشيء آخر مُختلفٍ تماماً، بحسب فطنته وفهمه، مُعتمداً على قرائن الأحوال.

وهذا المُسمى: فراسة وفهماً، كما فهم تعالى سليمان عليه السلام حين تحاكم إليه صاحب الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم الآخرين، أي: «رعت ليلاً فأكلت ما في أشجاره، ورعت زرعه، فقضى فيه داود عليه السلام بأن الغنم تكون لصاحب الحرث، نظراً إلى تفريط أصحابها، فعاقبهم بهذه العقوبة، وحكم فيها سليمان بحكم موافق للصواب، بأن أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى صاحب الحرث فينتفع بديرها وصوفها ويقومون على بستان صاحب الحرث، حتى يعود إلى حاله الأولى، فإذا عاد إلى حاله، ترادا ورجع كل منهما بما له، وكان هذا من كمال فهمه وفطنته عليه السلام ولهذا قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] ^(١).

فهذا الفهم من سليمان مبنيٌّ على علمٍ راسخ، وقرائن وشواهد، فَأَعْمَلَ عَقْلَهُ وَذَهَنَهُ، فأَيَّدَهُ اللهُ تعالى بزيادة فهم.

وَقُلْ ذَلِكَ فِي الْمَخْتَرَعِينَ مِنْ بِلَادِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، الَّذِينَ ابْتَكَرُوا عَشْرَاتِ الْمَخْتَرَعَاتِ الْعَجَبِيَّةِ، الَّتِي لَا زِلْنَا نَنْعَمُ بِهَا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ إِلَى الْيَوْمِ؛ كَالْمَصْبَاحِ، وَالطَّائِرَاتِ وَالسَّيَّارَاتِ وَغَيْرِهَا.

فَهَلْ نَقُولُ: بِأَنَّهُمْ قَدْ أَلْهَمُوا هَذِهِ الْاِخْتِرَاعَاتِ وَالْمُبْتَكِرَاتِ؟ وَأَنَّهُمْ مَلْهَمُونَ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَصَمَهُمْ وَاصْطَفَاهُمْ؟
بِالتَّأَكِيدِ: لَا.

وَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: إِذَا كَانَتْ الرُّؤْيَا جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَعِلْمًا غَيْبِيًّا، فَهِيَ مِنْ هَذَا الْبَابِ إِلَهَامٌ مَحْضٌ، لَتَعَلَّقَهَا بِعِلْمِ الْمُسْتَقْبَلِ، فَلَا تُقَارَنُ بِغَيْرِهَا.

وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْمُعْبَّرَ إِنَّمَا يَتَوَصَّلُ إِلَى تَأْوِيلِهَا، وَمَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهَا الَّتِي قَدْ تَدَلَّى عَلَى أُمُورٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ، مِنْ خِلَالِ رَمُوزِ الرُّؤْيَا، وَحَالِ الرَّائِي، فَقَامَ بَرِبْطٌ وَقِيَاسُ الشَّبْهِ الْمَعْنَوِي - وَهِيَ رَمُوزُ الرُّؤْيَا - بِمَا يُشَابِهُهَا حَسًّا وَوَاقِعًا، فَمِنْ هَذَا الْبَابِ سَمَّاها إِلَهَامًا، وَنَحْنُ نُسَمِّيها فَهْمًا وَفِرَاسَةً وَخَبْرَةً وَعِلْمًا، وَهِيَ الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا كُلُّ أَحَدٍ حَتَّى مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ.

فَمُعْبَّرُ الرُّؤْيَى لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُلْهِمَ إِلَهَامًا دُونَ تَأْمُلٍ فِي الرُّؤْيَا، وَيَأْتِيهِ الْمَعْنَى مُبَاشَرَةً كَأَنَّهُ نَوْرٌ فَهَذَا لَا يَصِحُّ أَبَدًا، وَلَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ تَعْيِيرُ الرُّؤْيَا، فَإِنَّ مَدَارَهُ عَلَى الْقِيَاسِ وَالْإِعْتِبَارِ وَالْمُشَابَهَةِ، الَّتِي بَيْنَ الرُّؤْيَا وَتَأْوِيلِهَا. اهـ^(١).

وَهَذَا هُوَ مَا عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ الْمُحَقِّقُونَ، بَلْ لَا أَعْلَمُ مَنْ خَالَفَ فِيهِ.
هَذَا وَقَدْ أُعْطِيَ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَعْبَرِينَ اسْتِبَانَةً فِيهَا أَسْئَلَةٌ، مِنْ ضَمْنِهَا:

هل تعرف دليلاً على أنّ التعبير يكون بالإنشام؟
فلم أجد من واحدٍ منهم ممن يرى أنه إنشامٌ - والله يشهد - دليلاً
واحداً من القرآن أو السنة أو اللغة أو كلام أهل العلم.

○ [علمُ التعبير علمٌ له أصولُه وضوابطُه]:

علمُ التعبير علمٌ شريفٌ قائمٌ بنفسه، له قواعده وأصوله.
ومع هذا فهو من علوم الشريعة بالمحل الذي لا يخفى، كيف
والرؤيا جزءٌ من ستة وأربعين جزءاً من النبوة!
وهذا الخبر دالٌّ على أن الرؤيا تشبه الوحي من بعض الأوجه، لما
فيها من دلالة على الغيب.

فتعبير الرؤيا ليس أمراً سهلاً عارضاً، وليس أمراً يأتي عن طريق
الصدفة أو التخمين، بل هو علمٌ قائمٌ بذاته، له أصولُه وكتبه وضوابطه.
فقد صرح ابن كثير على أنه كان في زمنه يُدرس كما يُدرس
الحديث والتفسير.

ونصّ سائر العلماء على أنّ التعبير علمٌ، قال الغزالي رحمه الله
تعالى: علمُ التعبير يعرفك أيضاً منهاج ضرب الأمثال؛ لأن الرؤيا جزء
من النبوة. اهـ^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى عن شيخه الشهاب العابر: وَهَذِهِ
كَانَتْ حَالُ شَيْخِنَا هَذَا، وَرُسُوحُهُ فِي عِلْمِ التَّعْبِيرِ، وَسَمِعْتُ عَلَيْهِ عِدَّةَ
أَجْزَاءٍ. اهـ^(٢).

فقد درَسَ هذا العلمَ دراسةً على المتخصصين.

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ص ٢٠٦.

(٢) زاد المعاد ٥٣٨/٣.

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَعِلْمُ تَأْوِيلِ الرُّؤْيَا مِنْ عُلُومِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَحَسْبُكَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا جَاءَ فِي الْأَثَارِ الصَّحَاحِ فِيهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَجْمَعَ أئِمَّةُ الْهُدَى مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، عَلَى الْإِيمَانِ بِهَا، وَعَلَى أَنَّهَا حِكْمَةٌ بِالْغَةِ، وَنِعْمَةٌ يَمُنُّ اللهُ بِهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَهِيَ الْمُبَشِّرَاتُ الْبَاقِيَّةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ. اهـ (١).

ومِمَّنْ نَصَّ عَلَى أَنَّهُ عِلْمٌ أَيْضًا: الكرمانى (٢)، والرازي (٣)، والقرافي (٤)، والقرطبي (٥)، وابن خلدون (٦)، ومحمد بن عبد الوهاب، والسعدي (٧) وغيرهم رحمهم الله تعالى، ولم أقف على من نفى أنه علم، ولا من قال بأنه إلهام.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: «عَبَارَةُ الرُّؤْيَا عِلْمٌ صَحِيحٌ، ذَكَرَهُ اللهُ فِي الْقُرْآنِ، وَلَأَجَلَ ذَلِكَ قِيلَ: لَا يُعْبَرُ الرُّؤْيَا إِلَّا مَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِتَأْوِيلِهَا؛ لِأَنَّهَا مِنْ أَقْسَامِ الْوَحْيِ». اهـ (٨).

وإذا ثبت كونه علمًا بدلالة الكتاب والسُّنَّةِ وإجماع العلماء، فما من علمٍ إلا له أصولُه وقواعده، وما من علمٍ إلا يُمكن تعلُّمه وتعليمُه.

ومِمَّنْ نَصَّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ مَبْنِيٌّ عَلَى قَوَاعِدَ وَضُوَابِطَ، شَأْنُهُ شَأْنُ غَيْرِهِ مِنَ الْعُلُومِ: الشَّيْخُ الشَّهَابُ الْعَابِرُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، حَيْثُ قَالَ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ (البدر المنير في علم التعبير): ولم أترك شيئًا - من القواعد الشاملة لهذا العلم مما قاله العلماء، أو رُزِقْتُ الاجتهادَ فيه، إلا

(٢) شرح ابن بطلال ٥٦١/٩.

(٤) في الفروق، وقد تقدّم.

(٦) في تاريخه ١٦٥/٢.

(٨) الدرر السنية ٢٤٨/١٣.

(١) التمهيد ٤٩/٢٤.

(٣) مفاتيح الغيب ٤٥٤/١٨.

(٥) في تفسيره ٢٦٩/٩.

(٧) في التفسير، وقد تقدّم.

ذَكَرْتُهُ. اهـ^(١).

ونصّ عليه العلامة القرافي رحمه الله تعالى حيث قال في
الفروق^(٢):

اعْلَمْ أَنَّ تَفْسِيرَ الْمَنَامَاتِ قَدْ اتَّسَعَتْ تَقْيِيدَاتُهُ، وَتَشَعَّبَتْ تَخْصِصَاتُهُ،
وَتَنَوَّعَتْ تَعْرِيفَاتُهُ، بِحَيْثُ صَارَ الْإِنْسَانُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَعْتَمِدَ فِيهِ عَلَى مُجَرَّدِ

(١) البدر المنير، ص ١.

والشَّهاب العابر: هو أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة، المقدسي،
الحنبلي، شهاب الدين، أبو العباس، عابر الرؤيا.
مولده: سنة (٦٢٨هـ).

سمع الكثير، وروى الحديث، وَتَفَقَّهَ وَحَصَّلَ المذهب، ثم أقبل على علم الرؤيا فبرع
فيه، وكان له فيه اليد الطولى، بحيث فاق في ذلك أهل زمانه، وله فيه تصنيف.
توفي بدمشق في ذي القعدة، سنة (٦٩٧هـ).

وهو من أوائل الشيوخ الذين سمع منهم ابن القَيِّم (٦٩١ - ٧٥١هـ)، وقد «حَدَّثَ عَنْ
شيخه: التعبير وغيره».

وقد حَدَّثَ ابن القَيِّم - رحمه الله تعالى - عنه بتفسير بعض الرؤى في كتابه (زاد
المعاد)، حيث قال - عند الكلام على تأويل لباس الحلي للرجل، وأنه يدل على نكد
وَأَلَمْ يَلْحَقْهُ - قال: «وَأَنْبَأَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ، أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْمُنْعَمِ بْنِ
نِعْمَةٍ بْنِ سُرُورٍ الْمَقْدِسِيِّ، الْمَعْرُوفُ بِالشَّهَابِ الْعَابِرِ، قَالَ: قَالَ لِي رَجُلٌ: رَأَيْتُ فِي
رَجُلِي خُلْخُلًا، فَقُلْتُ لَهُ: تَتَخَلَّلُ رَجْلُكَ بِأَلَمٍ. وَكَانَ كَذَلِكَ».

ثم ساق عنه جملة في هذا الباب، ثم قال: «وهذه كانت حال شيخنا هذا، ورسوخه
في علم التعبير، وسمعت عليه عدة أجزاء، ولم يتفق لي قراءة هذا العلم عليه، لصغر
السن، واخترام المَنَنِ له». كما في زاد المعاد.

كما أنَّ في كلام ابن القَيِّم في مدح شيخه تأكيدًا لما اتفقت عليه كلمة الأئمة: من
براعة الشَّهاب وتمكنه في هذا العلم، فتضاف هذه الشهادة من ابن القَيِّم إلى شهادات
أولئك الأئمة. [يُنْظَرُ: ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السُّنَّة النبوية وعلومها: ١/
١٤٧]. اهـ.

ومن أفضل من كتب - فيما أعلم - في قواعد هذا العلم: الشيخ عبد الله السدحان
حفظه الله في كتابه: «القواعد الحسنى في تأويل الرُّؤَى».

(٢) ٤٠٥/٨ - ٤١٢.

الْمَنْقُولَاتِ؛ لِكثَرَةِ التَّخْصِصَاتِ بِأَحْوَالِ الرَّائِينَ، بِخِلَافِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَالتَّحَدُّثِ فِي الْفِقْهِ وَالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ، فَإِنَّ ضَوَابِطَهَا إِمَّا مَحْصُورَةٌ أَوْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْحَضَرِ، وَعِلْمُ الْمَنَامَاتِ مُنْتَشِرٌ انْتِشَارًا شَدِيدًا، لَا يَدْخُلُ تَحْتَ ضَبْطٍ، فَلَا جَرَمَ احْتِيَاجَ النَّاظِرِ فِيهِ مَعَ ضَوَابِطِهِ وَقَرَائِنِهِ إِلَى قُوَّةٍ مِنْ قُوَى النُّفُوسِ، الْمُعِينَةِ عَلَى الْفِرَاسَةِ وَالْإِطْلَاقِ عَلَى الْمُغَيَّبَاتِ، بِحَيْثُ إِذَا تَوَجَّهَ الْحَزْرُ^(١) إِلَى شَيْءٍ لَا يَكَادُ يُحْطَى؛ بِسَبَبِ مَا يَخْلُقُهُ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي تِلْكَ النُّفُوسِ مِنَ الْقُوَّةِ الْمُعِينَةِ عَلَى تَقْرِيبِ الْغَيْبِ أَوْ تَحَقُّقِهِ، كَمَا قِيلَ فِي ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْغَيْبِ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِ رَقِيقٍ؛ إِشَارَةً إِلَى قُوَّةِ أَوْدَعَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، فَرَأَى بِمَا أَوْدَعَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي نَفْسِهِ مِنَ الصَّفَاءِ وَالشُّفُوفِ، وَالرَّقَّةِ وَاللِّطَافَةِ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ هُوَ كَذَلِكَ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ عَامًّا فِي جَمِيعِ الْأَنْوَاعِ.

وَمَنْ لَيْسَ لَهُ قُوَّةُ نَفْسٍ فِي هَذَا النَّوعِ، صَالِحَةٍ لِعِلْمِ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا لَا يَصِحُّ مِنْهُ تَعْبِيرُ الرُّؤْيَا، وَلَا يَكَادُ يُصِيبُ إِلَّا عَلَى النُّدْرَةِ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ التَّوَجُّهُ إِلَى عِلْمِ التَّعْبِيرِ فِي الرُّؤْيَا، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ قُوَّةُ نَفْسٍ فَهُوَ الَّذِي يُنْتَفَعُ بِتَعْبِيرِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُ مِمَّنْ لَهُ قُوَّةُ نَفْسٍ مَعَ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ، فَكَانَ يَتَحَدَّثُ بِالْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ فِي الْمَنَامِ اللَّطِيفِ، وَيُخْرِجُ مِنْهُ الْأَشْيَاءَ الْكَثِيرَةَ وَالْأَحْوَالَ الْمُتَبَايِنَةَ، وَيُخْبِرُ فِيهِ عَنِ الْمَاضِيَّاتِ وَالْحَاضِرَاتِ وَالْمُسْتَقْبَلَاتِ، وَيَنْتَهِي فِي الْمَنَامِ الْيَسِيرِ إِلَى نَحْوِ الْمِائَةِ مِنَ الْأَحْكَامِ بِالْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ، حَتَّى يَقُولَ مَنْ لَا يَعْلَمُ بِأَحْوَالِ قُوَى النُّفُوسِ: إِنَّ هَذَا مِنَ الْجَانِّ أَوْ الْمُكَاشَفَةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَيْسَ كَمَا قَالَ، بَلْ هُوَ قُوَّةُ نَفْسٍ يَجِدُ

(١) أي: التخمين والظن.

بَسْبَبِهَا تِلْكَ الْأَحْوَالَ عِنْدَ تَوَجُّهِهِ لِلْمَنَامِ، وَلَيْسَ هُوَ صَلاَحٌ، وَلَا كَشْفٌ، وَلَا مِنْ قِبَلِ الْجَانِّ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَا مِنْ هَذَا النَّوعِ جَمَاعَةً وَاخْتَبَرْتُهُمْ، فَمَنْ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ قُوَّةُ نَفْسٍ عَسَرَ عَلَيْهِ تَعَاطِي عِلْمِ التَّعْبِيرِ، وَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَطْمَعَ فِي أَنْ يَحْصُلَ لَكَ بِالتَّعَلُّمِ وَالْقِرَاءَةِ وَحِفْظِ الْكُتُبِ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَكَ قُوَّةُ نَفْسٍ فَلَا تَجِدُ ذَلِكَ أَبَدًا، وَمَتَى كَانَتْ لَكَ هَذِهِ الْقُوَّةُ حَصَلَ ذَلِكَ بِأَيْسَرِ سَعْيٍ، وَأَدْنَى ضَبْطٍ، فَأَعْلَمَ هَذِهِ الدَّقِيقَةَ؛ فَقَدْ خَفِيتُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ. اهـ.

ونلاحظ من كلام هذا العلامة المحقق أمورًا منها:

١ - أنه لا يُكْتَفَى ولا يُسْتَغْنَى بالكتب التي تعتنى بهذا الفن وحدها، ف«الإنسان لا يَقْدِرُ أَنْ يَعْتَمِدَ فِيهِ عَلَى مُجَرَّدِ الْمُنْقُولَاتِ؛ لِكثَرَةِ التَّخْصِصَاتِ بِأَحْوَالِ الرَّائِينَ».

«وَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَطْمَعَ فِي أَنْ يَحْصُلَ لَكَ بِالتَّعَلُّمِ وَالْقِرَاءَةِ وَحِفْظِ الْكُتُبِ، إِذَا لَمْ تَكُنْ لَكَ قُوَّةُ نَفْسٍ».

٢ - أن قُوَّةَ النَّفْسِ مَطْلَبٌ يُؤَكِّدُ عَلَيْهِ الْقِرَافِي وَيُكْرِرُهُ بَحِثٌ يَكُونُ فِطْنًا ذَكِيًّا، مُهْتَمًّا بِهَذَا الْفَنِّ، وَيَحْتَاجُ «إِلَى قُوَّةٍ مِنْ قُوَى النَّفُوسِ، الْمُعِينَةِ عَلَى الْفِرَاسَةِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى الْمُعَيَّاتِ».

«وَمَنْ لَيْسَ لَهُ قُوَّةُ نَفْسٍ فِي هَذَا النَّوعِ، صَالِحَةٍ لِعِلْمِ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا لَا يَصِحُّ مِنْهُ تَعْبِيرُ الرُّؤْيَا».

ويقصد بقوة النفس: شدة الفراسة وحدة الفطنة، والله أعلم.

٣ - أن هذا الفن له ضوابط وقواعد كغيره من العلوم، لقوله: «فَلَا جَرَمَ احْتِاجَ النَّاطِرِ فِيهِ مَعَ ضَوَابِطِهِ وَقَرَائِنِهِ...»

٤ - أن القوة المُشار إليها في التعبير ليس ناجمًا من إلهام، «بَلْ

هُوَ قُوَّةُ نَفْسٍ يَجِدُ بِسَبَبِهَا تِلْكَ الْأَحْوَالَ عِنْدَ تَوَجُّهِهِ لِلْمَنَامِ». و«بِسَبَبِ مَا يَخْلُقُهُ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي تِلْكَ النَّفُوسِ مِنَ الْقُوَّةِ الْمُعِينَةِ عَلَى تَقْرِيبِ الْغَيْبِ أَوْ تَحَقُّقِهِ».

فالقرافي نصّ أنه من قُوَّةِ النَّفْسِ الْمُعِينَةِ عَلَى تَقْرِيبِ الْغَيْبِ أَوْ تَحَقُّقِهِ، ولم يقل: إنه من الإلهام.

وقُوَّةُ النَّفْسِ هذه - الْمُعَبَّرُ عنها بالإلهام عند البعض - ليست مُخْتَصَّةً بِالْمُعَبَّرِ فَقَطْ، بل يَكُونُ ذَلِكَ عَامًّا فِي جَمِيعِ الْأَنْوَاعِ.

«وَلَيْسَ هُوَ صَلاَحٌ، وَلَا كَشْفٌ»؛ أي: أنه ليس مُعْتَمَدًا عَلَى صَلاَحِ دِينِ الْإِنْسَانِ، وَلَا عَلَى مَا يَكْشِفُهُ اللَّهُ لِهَذَا الْمُعَبَّرِ.

وقد نصّ على أن هذا العلم مبنيٌّ على قواعد وضوابط العلامة خليل بن شاهين حيث قال - في حَدِيثِهِ عن آداب المعبر -: «وَأَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِالْأَصُولِ فِي عِلْمِ التَّغْيِيرِ»^(١).

ونصّ عليه العلامة السعدي كما تقدّم.

وَمِمَّنْ اسْتَنْبَطَ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ وَالْأَصُولَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَاسْتَقْصَى الرَّمُوزَ الصَّحِيحَةَ الْمَطْرُودَةَ مِنْهُمَا - غَالِبًا - صَاحِبُ كِتَابِ: الْمَدْخَلُ إِلَى عِلْمِ تَأْوِيلِ الرُّؤْيَا^(٢)، فَقَدْ أَجَادَ وَأَفَادَ فِي ذَلِكَ.

وْخِلَاصَةُ الْكَلَامِ: أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ يُتَعَلَّمُ وَيُكْتَسَبُ كَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلُومِ، إِلَّا أَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى أُمُورٍ قَدْ لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِهِ؛ كَعِلْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْإِخْلَاصِ وَالتَّقْوَى.

ولكن لا يلزم من سعة علم العالم أن يكون مُعَبَّرًا، ولو حاول خوض غمار هذا العلم، فقد لا يُوفِّقُ فِيهِ، كَمَا أَنَّ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ حِظٌّ

(١) الإشارات في علم العبارات، ص ٣. (٢) من ص ٨١ حتى ص ٩٧.

وافر من العلم الشرعي قد يُحسنه ويُتقنه بكثرة مراسه واهتمامه وميله له .
قال الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى: «وهذا العلم يحتاج إلى
مناسبة بين مُتَحَرِّيه وَبَيْنَهُ، فَرُبَّ حَكِيمٍ لَا يُرْزَقُ حِذْقًا فِيهِ، وَرُبَّمَا نَزَرَ
الْحِظُّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَسَائِرِ الْعُلُومِ يُرْزَقُ حِظًّا فِيهِ، وَتُوجَدُ لَهُ فِيهِ قُوَّةٌ
عَجِيبَةٌ» .^(١) اهـ .

ويجب التنبيه إلى أنه ليس المقصود من قواعد علم التعبير أن تجعل
الرموز والرؤى قاعدة عامة، على نسق: «من رأى كذا فتأويله كذا»،
هكذا بإطلاق، كلا!

بل هذا الذي جعل الناس وكثيراً من المعبرين يتخبطون في التعبير،
ويقعون في الأخطاء الشنيعة .

وربما رجعوا إلى تعبير الأحلام المنسوب لابن سيرين، وهو ليس
له باتفاق أهل المعرفة .

○ [بعض الإشكالات والجواب عليها]:

الإشكال الأول: قدّمت أن تعبير الرؤى علمٌ يُتعلّم، وذلك من
خلال فهم القرآن والسنة واللغة وغيرها من العلوم المُعِينَةِ، وفهم الرموز
المُستنبطة منها، فلمَ لَمْ يُبَيَّنْ هذه الرموز الصحابة وتابعوهم؟
فالجواب: لَمْ يُبَيَّنْوها كما لَمْ يُبَيَّنْوا قواعد النحو والشعر والأصول
وغیرها، حيث كانوا يُحسنون هذه الفنون سليقةً وجبلةً، ولم يضطروا
لتدوينها .

الإشكال الثاني: إذا كان علم التعبير مبنياً على علم وقواعد
وأسس، فمن أين تعلّم أبو بكرٍ وعائشة وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم،

(١) «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، ص ١٤٧ .

وكذلك بعض التابعين كابن سيرين وابن المسيب وغيرهما، ولم يُعرف عنهم أنه كان لهم شيوخ في هذا الباب؟

فالجواب من وجهين:

الوجه الأول: أنّ هؤلاء العلماء من الصحابة أو التابعين الذين اشتهر عنهم تعبير الرؤيا، كانوا أهل علم وفطنة وذكاء، فالعلم يجري في عُروقهم، فكما أنهم يعرفون اللغة العربية والنحو والأصول بفطرتهم، وبعضهم يزيد على الآخر بعلم آخر؛ كالشعر والأدب، فكذلك علم التعبير، قد ينشأ عند بعضهم وتكون عنده ملكة في التعبير.

فهل الشعراء كلهم تلقوا موهبة الشعر من شيوخهم؟ فمن شيخ حسان وعنترة وقيس والمتنبي وغيرهم من فطاحلة الشعراء؟ نعم، قد تأثروا ببعض الشعراء، لكن لا يلزم منه أنهم تتلمذوا عليهم.

فهي موهبة نمت من خلال أمور ثلاثة:

- ١ - بما امتلكوه من إمكانات وقدرات، وفطنة وذكاء.
 - ٢ - ومن خلال ميولهم للشعر والشعراء.
 - ٣ - وكثرة سماعهم للشعر، وكثرة مجالستهم للشعراء.
- وكذلك المعبرون السابقون، نمت موهبة التعبير عندهم من خلال أمور ثلاثة:

- ١ - بما امتلكوه من إمكانات وقدرات، وفطنة وذكاء.
 - ٢ - ومن خلال ميولهم للتعبير والمعبرين.
 - ٣ - وكثرة سماعهم للتعبير، وكثرة مجالستهم للمعبرين.
- لكن من جاء بعدهم بقرون عديدة، وخاصة في هذا الزمن، احتاج إلى أمر رابع، وهو العلم الراسخ الشرعي واللغوي وغيرها من العلوم.

الوجه الثاني: أنه ثبت عن بعضهم أنهم أخذوا هذا العلم عن شيوخهم، فقد ذكر الذهبي رحمه الله تعالى أن الواقدي رحمه الله تعالى قال: «كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ مِنْ أَغْبَرِ النَّاسِ لِلرُّؤْيَا، أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَخَذَتْ عَنْ أَبِيهَا» اهـ^(١).

وتقدم النقل عن شهاب الدين النفراوي قوله: مَنْ لَا مَعْرِفَةَ لَهُ بِعِلْمِ التَّأْوِيلِ لَا يَجُوزُ لَهُ التَّعْيِيرُ اعْتِمَادًا عَلَى مُجَرَّدِ مَا يَرَاهُ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ، كَمَا لَا يَجُوزُ الْإِفْتَاءُ بِالْاعْتِمَادِ عَلَى الْمُسَطَّرِ فِي الْكُتُبِ مِنْ غَيْرِ أَخْذٍ عَنْ شُيُوخِ الْعِلْمِ. اهـ^(٢).

فأثبت أن لهذا العلم شيوخًا يُؤخذ عنهم.

الإشكال الثالث: ثبت في «الصحيحين» أن رجلاً قصَّ على الرسول ﷺ رؤيا، فأولها أبو بكر رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ: «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا» قَالَ: فَوَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَتُحَدِّثَنِي بِالَّذِي أَخْطَأْتُ، قَالَ: «لَا تُقَسِّمَ».

قالوا: فأبو بكر رضي الله عنه وأرضاه عندما أقسم على النبي ﷺ أن يبين له خطأه لم يجبه النبي لذلك وقال: «لا تقسم»، ولو كان من العلم الشرعي لما كتم النبي عنه الإجابة، فكما هو معروف في علم الأصول: لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

فتعبير الرؤى ليس كمثل باقي العلوم الشرعية، التي يمكن أن تُدرس وتُتعلَّم.

وهذه حجةٌ فيها نظر، ولا يصح الاستدلال بها على ما ذهبوا إليه؛

لأُمُور:

(٢) الفواكه الدواني ٣٤٨/٢.

(١) سير أعلام النبلاء ٣/٢٦٠.

أولاً: أنه قد ثبت أنه ﷺ لم يُخبر الصحابة بوجه الصواب في أمورٍ شرعية، ففي «الصحيحين» ^(١)، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْأَحْزَابِ: «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يَرُدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعْنَفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ.

فالنَّبِيُّ ﷺ لم يُبَيِّن ما هو الصحيح من الرأيين؛ وكأنه يقصد من ذلك أنه لا حَجْر على الفهم والاستنباط من النصوص، وأن الخلاف سائغ ومشروع إذا كان بعد استفراغ الوسع.

وهكذا في إحجامه عن إخبار أبي بكر رضي الله عنه وجه الخطأ؛ لِيُفْسَحَ له ولغيره من الصحابة المجال في الفهم والاستنباط.

ثانياً: أن تعبير الرؤى لا تدخل في الأمور الضرورية ولا الشرعية، حتى تَرَدَّ علينا القاعدة: تأخير البيان عن وقت الحاجة؛ فالبيان المنهي عن تأخيره هو ما يتعلّق بالأمور الشرعية للمسلم، التي يضرُّه تأخير بيانها.

ثالثاً: أنه قد يكون من سنّته ﷺ الإمساك عن تعبير الرؤيا إذا عُبِّرَتْ تعبيراً صحيحاً، كما سيأتي تفصيله بحول الله تعالى.

رابعاً: أنه قد يكون امتناعه لحكمة يراها أولى من الجواب.

قال ابن بطال رحمّه الله: ومعنى كتمان النبي موضع الخطأ؛ لئلا يُحْزَنَ الناس بالعارض لعثمان، فهو الرابع الذي انقطع له ثم وصل؛ أي: وصلت الخلافة لغيره. اهـ ^(٢).

(١) البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠). (٢) شرح ابن بطال للبخاري ٥٦٠/٩.

الإشكال الرابع: قد تقرر أنّ تعبير الرؤيا موجودٌ منذ القرون الأولى، بل وقبل الإسلام كما تقدّم النقل عن ابن خلدون والقادري وغيرهما، فلا يلزم الالتزام بالقرآن والسُّنة في التعبير، ولا يلزم الرجوع إليهما أبدًا، فالذين قبل الإسلام من الأنبياء - كيوسف عليه السلام - وغيره عبّروا الرؤى ولم يرجعوا إليهما!

فالجواب من وجهين:

الوجه الأول: أنّ تعبير الرؤيا ليس مُقتصرًا على الكتاب والسُّنة بإجماع المُعَبِّرين.

الوجه الثاني: أنّ التعبير فيما قبل الإسلام مأخوذٌ من مشكاة النبوة والوحي، والكتب المنزلة، ولكن حينما حُرِّفت الكتب المنزلة - عدا القرآن الكريم - وانقطع الوحي، وعمّ الجهل والفجور والكفر، قلّ العارفون بالتعبير، وكاد أن يندثر الذين يُصيّبون في تعبيرهم، ولولا بقيّة بقيت من الناس الذين لديهم فطنة وذكاء، وعندهم بقيّة من آثار الكتب الأخرى لاندثر هذا العلم.

وحينما جاء الإسلام بالوحي الصحيح، أحيا الله تعالى هذا العلم، وجعل له الأصل الذي يُرجع إليه، وهو القرآن والسُّنة وهما الوحي المنزّل على النبي ﷺ.

○ [أقسام المعبرين في هذا الزمان]:

ينقسمُ المعبرون في هذا الزمان إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يعتمد في تعبيره على الرموز في الرؤيا، وحفظها من بطون الكتب، بلا حصيلة علميّة ودينيّة، فهذا تأتي منه الطوام الكثيرة، والجرأة الخطيرة، ولا يُمكن أن تُعدّ أخطاؤه وزلاّته من كثرتها.

القسم الثاني: يعتمد في تعبيره على النظرة الإلهامية، «وهذا

مخالفٌ لِمَا عليه السلف، فلم يرد عليه دليلٌ، ولا اطَّردت به عادة»^(١).

القسم الثالث: يعتمد في تعبيره على النظرة التكاملية، حيث يعتمد على جمع الرموز، ومعرفة أحوال الرائي، وعلى الفهم والفراسة والفطنة، فهذا هو القسم الصحيح الموافق للكتاب والسُّنة، ومنهج علماء الملة.

○ [حُكْمٌ مِنْ كَذِبٍ فِي رِوَايَةِ الرُّؤْيَا]:

الكذب في الرؤيا من أعظم الذنوب؛ لقوله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْرَى الْفِرَى أَنْ يُرَى عَيْنِيهِ مَا لَمْ تَرَ». رواه البخاري^(٢) والفري: جمع فرية، وهي الكذبة العظيمة. وقال أيضًا: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلَّفٌ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ» رواه البخاري^(٣).

«فإن قيل: إِنَّ كَذِبَ الْكَاذِبِ فِي مَنَامِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى كَذِبِهِ فِي يَقَظَتِهِ، فَلَمْ زَادَتْ عُقُوبَتُهُ وَوَعِيدُهُ وَتَكْلِيفُهُ عَقْدَ الشَّعِيرَتَيْنِ؟ قيل: قد صَحَّ الْخَبَرُ «إِنَّ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ جُزْءٌ مِنَ النَّبُوءَةِ» وَالنَّبُوءَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا وَحْيًا، وَالْكَاذِبُ فِي رُؤْيَاهُ يَدَّعِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَاهُ مَا لَمْ يَرِهِ، وَأَعْطَاهُ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ لَمْ يُعْطِهِ إِيَّاهُ، وَالْكَاذِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَعْظَمُ فَرِيَةٍ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى الْخَلْقِ أَوْ عَلَى نَفْسِهِ»^(٤).

○ [التَّوَاطُّؤُ عَلَى الرُّؤْيَا]:

التواطؤ: أَنْ يَتَوَافَقَ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ وَلَوْ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُهُمْ، وَتَوَاطَّؤُهُمْ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ وَصْفَةِ رُؤَاهُمْ.

(١) القواعد الحسنى في تأويل الرؤى، ص ٩.

(٢) (٧٠٤٣). (٣) (٧٠٤٢).

(٤) جامع غريب الحديث ١/ ٢٣٤، ويُنظر: عمدة القاري ٢٤/ ١٦٨.

ودليل ذلك ما ثبت في الصحيحين أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَّاتُ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّبَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ». متفق عليه^(١).

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: «وَيُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّ تَوَافُقَ جَمَاعَةٍ عَلَى رُؤْيَا وَاحِدَةٍ دَالٌّ عَلَى صِدْقِهَا وَصِحَّتِهَا كَمَا تُسْتَفَادُ قُوَّةُ الْخَبَرِ مِنَ التَّوَارُدِ عَلَى الْإِخْبَارِ مِنْ جَمَاعَةٍ». اهـ^(٢).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وتواطؤ الرؤيا كتواطؤ الشهادات. اهـ^(٣).

وقال: إذا تواطأت رؤيا المؤمنين على أمر كان حقاً، كما إذا تواطأت رواياتهم أو رأيهم، فإنَّ الواحد قد يغلط أو يكذب وقد يخطئ في الرأي، أو يتعمد الباطل، فإذا اجتمعوا لم يجتمعوا على ضلالة، وإذا تواترت الروايات أورثت العلم، وكذلك الرؤيا. اهـ^(٤).

○ [علم تعبير الرؤيا يكون بعد تعلُّم العلوم الشرعية]:

نجد في هذا الزمان من يتجرأ على تعبير الرؤيا، وقد خاض فيه مَنْ هَبَّ ودبَّ، ولذلك كثرت أخطاء وزلات الكثير من المعبرين؛ لأنهم ظنوا أن بإمكانهم تعلم تعبير الرؤيا بحفظ الرموز، وقراءة كتب هذا العلم فقط، وهذا خطأ، فالواجب أن يتعلموا العلوم الشرعية قبلها؛ لأنَّ أكثر علم الرؤيا مبنيٌّ على علم الشرع.

«وليس نوعٌ من العلم مما ينسب إلى الحكمة، إلا يُحتاج إليه في

(١) البخاري (٢٠١٥)، ومسلم (١١٦٥). (٢) فتح الباري ١٢/٤٧٥.

(٣) الاختيارات ص ٨٦. (٤) منهاج السنَّة ٣/٥٠٠.

تأويل الرؤيا، حتى الحساب وحتى الفرائض والأحكام والعربية»^(١).

قال أبو الليث السمرقندي: مَنْ تعلَّم علم الرؤيا فلا بأس به، بعدما يتفقه في الدين، وهو علم حسن. اهـ.^(٢)

«ولهذا يُستحبُّ لطالب العلم ألا يدرس هذا العلم إلا في مراحل متأخرة من الطلب؛ لأنه قد تكونت لديه حصيلة علمية في العلوم الشرعية الأخرى.. وأصبح لديه فهم لمقاصد الشريعة، ومعرفة بالمصالح والمفاسد»^(٣).

إذا: الأولى لطالب العلم ألا يدرس علم التعبير إلا بعد دراسته وتعمقه في العلوم الشرعية الأخرى لأمر منها:

١ - أن العلوم الشرعية، وخاصة تدبر الكتاب والسنة تُعطيه مناعة وحصانة عن الانزلاق وراء المخاطر الناجمة عن تعبير الرؤيا؛ كالفتنة بالنساء، والاغترار بالنفس، والزهو والكبر وحب الشهرة والفتنة بها.

٢ - كيلا ينشغل بالتعبير عن العلوم الشرعية الأساسية، فلذا نجد كثيراً ممن تعمق وأفرط في هذا المجال عزف وأنصرف عن العلم الشرعي، والقراءة والمطالعة، فضلاً عن سماع وحضور الدروس الشرعية.

والمعبرون الأولون كابن سيرين وابن المسيب وغيرهما، لم يتفرغوا لهذا العلم، ولم يتصدروا لتعبير رؤى الناس، بل انشغلوا بالعلم الشرعي الذي هو الأساس والأصل.

فكيف يُستشهد بتعبيرهم، ولا يُستشهد بانشغالهم بالعلم الشرعي تعلماً وتعليماً؟

(١) منتخب الكلام في تفسير الأحلام لأبي سعيد الواعظ، ص ٣.

(٢) بُسْتَان العارفين، ص ٣٥٤. (٣) المدخل لعلم تعبير الرؤيا، ص ٦٦.

وَالْمُعَبَّرُ مَهْمَا بَلَغَ الْغَايَةَ فِي عِلْمِ التَّعْبِيرِ لَا يُعَدُّ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَلِذَلِكَ قَالَ
النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: أَوْصَى لِلْعُلَمَاءِ، أَوْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ،
صُرِّفَ إِلَى الْعُلَمَاءِ بِعُلُومِ الشَّرْعِ، وَهِيَ: التَّفْسِيرُ، وَالْفِقْهُ، وَالْحَدِيثُ.
وَلَا يَدْخُلُ فِيهِ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْحَدِيثَ وَلَا عِلْمَ لَهُمْ بِطَرِيقِهِ، وَلَا
بِأَسْمَاءِ الرُّوَاةِ وَلَا بِالْمُتُونِ، فَإِنَّ السَّمَاعَ الْمَجْرَدَ لَيْسَ بِعِلْمٍ.
وَلَا يَدْخُلُ أَيْضًا الْمُقَرَّرُونَ، وَعَابِرُو الرُّؤْيَا، وَلَا الْأَدَبَاءُ، وَالْأَطِبَّاءُ،
وَالْمُنَجِّمُونَ، وَالْحَسَابُ، وَالْمُهَنْدِسُونَ». اهـ^(١).

○ [آداب وصفات المعبر]:

١ - أَنْ يَكِلَ فَهْمَ وَإِصَابَةَ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا أَوَّلًا إِلَى عِلْمٍ وَعَوْنِ اللَّهِ
تَعَالَى، وَذَلِكَ بِالِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَطَلَبِ التَّوْفِيقِ وَالتَّسْدِيدِ مِنْهُ وَحْدَهُ تَعَالَى،
وَمَنْ لَمْ يُعْنِهِ اللَّهُ تَعَالَى فَلَنْ تُغْنِيَ عَنْهُ قُدْرَتُهُ وَعِلْمُهُ.
٢ - أَنْ يَقُولَ حِينَ تَعْبِيرِهِ: خَيْرٌ لَنَا وَشَرٌّ لِأَعْدَائِنَا؛ لِمَا أَخْرَجَهُ
عَبْدُ الرَّزَّاقِ^(٢) «عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ
رُؤْيَا فَقَصَّهَا عَلَى أَخِيهِ فَلْيَقُلْ: خَيْرٌ لَنَا وَشَرٌّ لِأَعْدَائِنَا»^(٣).
أَوْ يَقُولَ: رَأَيْتُ خَيْرًا^(٤)، أَوْ خَيْرًا تَلَقَّاهُ وَشَرًّا تَتَوَقَّاهُ، كَمَا وَرَدَ عَنْ
بَعْضِ السَّلَفِ الصَّالِحِ.

٣ - أَنْ يُعْبَرْهَا عَلَى التَّفَاوُلِ، وَعَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ إِنْ أُمِكنَ.

(١) روضة الطالبين ١٦٩/٦.

أفادني بهذا النقل فضيلة الشيخ راشد البداح حفظه الله.

(٢) (٢٠٣٥٦).

(٣) قال الحافظ: وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ. وَلَكِنْ سَنَدُهُ مُنْقَطِعٌ.

(٤) ورد ذلك مرفوعاً عند أبي شيبة (٣٠٤٨٧).

٤ - ألا يُصرّح له بالتعبير إذا كان فيه ضررٌ أو فتنة، وكذا إذا كان خبراً سيئاً عليه، إلا إذا كان من باب الإنذار والتحذير.

٥ - الستر على العورات، وعدم التصريح عمّا يُستَحْيَا من ذكره.

٦ - عدم الاستطراد في الحديث مع النساء إلا فيما يتعلّق بالرؤيا بحدود الأدب والحشمة.

قال ابن الوردي رَحِمَهُ اللهُ (١):

واكتُم عوار الناس إنْ عبرتَ واحذر من الإعجاب إنْ أصبت والرؤيا والحلم كلاهما يكشفان خبايا البيوت، فأما الرؤيا فأمرها واضح، وأما الحلم، فهو لَمَّا كان كثيرٌ منه أو أكثره حَدِيثُ نَفْسٍ أو مَا اغْتَادَهُ فِي الْيَقَظَةِ، فما يراه هو واقعه وحياته، فيعرف منه المعبر أسرارَه وخباياه، وخاصةً إذا أخذ وأعطى معه.

٦ - «أن يكون عالماً باللغة العربية، لا علماً سطحياً بالنحو والإعراب، بل عالم باللغويات.

٧ - أن يكون ذا خيال واسع، وقدرة حقيقية على التخيل.

ولهذا لا بدّ للمعبّر أن يكون متقناً لعلم البلاغة، وما فيه من تشبيه واستعارة.

٨ - أن يكون عفيف النفس، مترفعاً عن بذل علمه لهدف مادي، فهذا العلم الذي أكرمه الله به، إنما مُنحه ليكون خدمة سخرها الله له لينتفع بها الآخرون.

٩ - أن يكون ورعاً في دينه ودنياه، بعيداً عن الغيبة والنميمة والنيل من أعراض الناس.

١٠ - أن يكون حياديًا في تأويله، يضع عواطفه جانبًا، فلا يأمر إلا بمعروف، ولا ينهى إلا عن منكر»^(١).

وبالجملة: «يحتاج العابر إلى أن يكون أدبيًا ذكيًا، فطنًا نقيًا، عارفًا بحالات الناس وشمائلهم وأقدارهم وهيئاتهم، يراعي ما تتبدل مرأيه وتتغير فيه عاداته، عند الشتاء إذا ارتحل، ومع الصيف إذا دخل، عارفًا بالأزمنة وأمطارها ونفعها ومضارها، وبأوقات ركوب البحار وأوقات ارتجاجها، وعادة البلدان وأهلها وخواصها وما يناسب كل بلدة وما يجيء من ناحيتها»^(٢).

○ [آداب الرَّائِي]:

- ١ - أَنْ يَكُونَ صَادِقَ اللَّهْجَةِ.
- ٢ - أَنْ يَنَامَ عَلَى وَضُوءٍ عَلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ.
- ٣ - أَلَّا يَقْصَّهَا عَلَى عَدُوٍّ وَلَا جَاهِلٍ^(٣).

○ [أسباب صدق الرؤيا]:

- قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وَمَنْ أَرَادَ أَنْ تَصْدُقَ رُؤْيَاهُ:
- ١ - فَلْيَتَحَرَّ الصُّدُقَ.
 - ٢ - وَأَكْلَ الْحَلَالِ.
 - ٣ - وَالْمُحَافَظَةَ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.
 - ٤ - وَلْيَتِمَّ عَلَى طَهَارَةٍ كَامِلَةٍ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، وَيَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَغْلِبَهُ عَيْنَاهُ، فَإِنَّ رُؤْيَاهُ لَا تَكَادُ تَكْذِبُ الْبَتَّةَ. اهـ^(٤).

(١) المدخل إلى علم تأويل الرؤيا بتصرف، ص ١١.

(٢) منتخب الكلام، ص ١١. (٣) فتح الباري ٤٣٣/١٢.

(٤) مدارج السالكين ٧٦/١.

○ [الأخطاء عند بعض المعبرين]:

من المفرح وجود مُعبرين للرؤى مُتمكنين ولله الحمد - وهم معروفون مُؤتمنون - ولكن لَمَّا دخل هذا العلم من ليس بأهله، جاءت الأخطاء الشنيعة، والزلات الفظيعة.

والأخطاء التي يقع فيها بعض المُعبرين كثيرةٌ منها:

١ - اعتمادهم على التّخمين المجرد وما وَفَرَ في قلوبهم، دون فهم رموز الرّؤيا وربط بعضها ببعض، ودون أن يستمدّ تأويله من القرآن والسُّنة، وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وَأُصُولُ التَّغْيِيرِ الصَّحِيحَةِ إِنَّمَا أَخَذَتْ مِنْ مَشْكَاةِ الْقُرْآنِ. اهـ^(١).

وتقدّم الردّ عليهم بالتفصيل.

٢ - إجابة بعضهم على كلّ الرّؤى والأحلام، وجزمُه بصحّة تأويله، وبعضهم لم تُسمع منه كلمة: لا أعلم! بل سُئل رجلان من أشهر مُعبري الرّؤى: هل أخطأت في تأويلك يومًا: فقالا: لا!.

ويا للعجب! يُخطئ أبو بكر رضي الله عنه في تعبيره، وهو أعلم وأفضل مُعبر بعد الأنبياء، وهذان لا يُخطئان أبدًا؟

بل وإمام الأنبياء قد عبّر الرّؤيا مرّةً بالظن، فيتبيّن له بعد ذلك أنها بخلاف ما ظنّه وأوّله، كما جاء في «الصحيحين»^(٢) أنه ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي - أَيِ وَهْمِي وَظَنِّي - إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرٌ - بَلَدٌ مَعْرُوفٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ -، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ».

(١) أعلام الموقعين ١/١٤٨.

(٢) البخاري (٣٦٢٢)، ومسلم (٢٢٧٢).

فِيُستفاد من هذا الحديث أَنَّ تَأْوِيلَ الرَّؤْيِ مَبْنِيٌّ عَلَى الظَّنِّ، وَلَا يَنْبَغِي الْجَزْمُ بِصَحَّةِ وَصَوَابِ التَّأْوِيلِ.

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْمَعْبَرِينَ فِي الْقَنَوَاتِ وَالْبَرَامِجِ وَالْهَوَاتِفِ، تَجِدُ أَنَّهُمْ يُجِيبُونَ عَنْ كُلِّ سَوْأَلٍ، وَمَا أَقَلُّ مَنْ إِذَا سُئِلَ عَنْ رُؤْيَا أَوْ حُلْمٍ أَنْ يَقُولَ: (اللَّهُ أَعْلَمُ)، أَوْ يَقُولَ: (لَا يَظْهَرُ لِي شَيْءٌ)، أَوْ يَقُولَ: (لَا أَعْرِفُ).

قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «يَجِبُ عَلَى الْعَابِرِ التَّثَبُّتُ فِيمَا يَرُدُّ عَلَيْهِ، وَتَرْكُ التَّعَسُّفِ، وَلَا يَأْتَفُ مِنْ أَنْ يَقُولَ لِمَا يُشْكَلُ عَلَيْهِ: لَا أَعْرِفُهُ، وَقَدْ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سَيْرِينَ إِمَامَ النَّاسِ فِي هَذَا الْفَنِّ، وَكَانَ مَا يُمَسِّكُ عَنْهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَفْسِرُ.

وَحَدَّثَ الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِي الْمَقْدَامِ أَوْ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: كُنْتُ أَحْضَرُ ابْنَ سَيْرِينَ يُسْأَلُ عَنِ الرَّؤْيَا، فَكُنْتُ أَحْزَرُهُ يَعْبُرُ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ وَاحِدَةً! اهـ^(١).

وَهَؤُلَاءِ يُعْبَرُونَ كُلُّ الرَّؤْيَى بِلَا اسْتِثْنَاءٍ! وَيَجْزَمُونَ بِصَحَّةِ تَعْبِيرِهِمْ. وَبَعْضُهُمْ جَاءَ بِعَكْسِ ذَلِكَ تَمَامًا، فَيَقُولُ: (نَحْنُ نُخْطِئُ وَنُصِيبُ وَخَطُّونَا أَكْثَرَ مِنْ صَوَابِنَا)! وَإِذَا كَانَ خَطُّوهُ أَكْثَرَ مِنْ صَوَابِهِ فَلِمَاذَا يَتَصَدَّرُ لِلْفَتْوَى؟

٣ - التَّحْدِيدُ الدَّقِيقُ بِجَزْمٍ وَيَقِينٍ.

فَبَعْضُهُمْ جَزَمَ بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ سَيَصِلُّونَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى خِلَالَ أَقَلِّ مِنْ سَنَتَيْنِ، وَمَضَتْ السَّنُونَ وَلَمْ نَرِ شَيْئًا. وَبَعْضُهُمْ عَبَّرَ لَامْرَأَةٍ بِأَنَّهُ سَيَتَزَوَّجُهَا رَجُلٌ لَهُ مُوَاصِفَاتٌ مُعَيَّنَةٌ،

(١) تعبير الرؤيا، ص ٨١.

فأصبحت تردّ الخطّاب الذين لا تتحقّق فيهم هذه الصفات، وانقضت زهرة شبابها تنتظر الخاطب الموهوم! .

بل بعضهم جزم بأن الرائي سيموت بعد أشهر أو سنوات، فجلس ينتظر وفاته بآلم وترقب.

وآخر: يتلاعب ويُعبّر ويحلل المباريات النهائية، ويحسم الأمر ليصرح عبر وسائل الإعلام أن الفوز للفريق الفلاني . .

والتحديد في التعبير لا يُنكر بشرطين:

الأول: إذا كان مأخوذاً من الرؤيا نفسها، وكان منطقياً معقولاً .

الثاني: تعليق التحديد بالمشيئة، وعدم الجزم بيقين .

وكثيراً ما كان المعبرون العارفون يُحددون حتى في أسماء وأوصاف الرائيين .

ومن أمثلة ذلك، ما قاله الشهاب العابر: «وَقَالَ آخِرُ: رَأَيْتُ أَنَّنِي أَقْرَأُ ﴿تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخِرَةِ جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣] وَأَنَا سَكْرَانٌ مِنْ قِرَاءَتِهَا، قُلْتُ لَهُ: أَنْتَ رَجُلٌ مُتَوَلِّيٌّ، وَلَكَ أَمْلَاكٌ وَدُورٌ، وَقَدْ تَحَدَّثْتَ أَنْتَ وَشَخْصٌ مِمَّنْ يَتْلُو الْكِتَابَ الْعَزِيزَ فِي أَنْ تَتْرَكَ الْوَلَايَةَ، وَتُوقِفَ أَحْسَنَ أَمْلَاكَ، قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَصَفَةُ الْفَقِيهِ مَصْفَرُ اللَّوْنِ طَوِيلُ الْقَامَةِ، وَاسْمُهُ سُلَيْمَانٌ، قَالَ: نَعَمْ، وَهُوَ يَصْنَعُ الْمِرَاوِحَ، قَالَ: نَعَمْ.

وَكَانَ دَلِيلُهُ أَنَّ الْمُتَقِينَ غَالِبًا عَنْدهُمْ خَوْفٌ، وَفِي وَجْهِ الْخَائِفِ أَبَدًا اصْفَرَارٌ، وَكَوْنُهُ طَوِيلُ الْقَامَةِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ كَثِيرُ الْإِقَامَةِ بَيْنَ أَظْهَرِ النَّاسِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ^(١)، وَالْبَاقِي فِي سُورَةِ النَّمل، وَفِيهَا سُلَيْمَانُ

(١) استنباطه هذا فيه بعد، ولكنه قد يصح أحياناً .

وَعَمَلُهُ». اهـ^(١).

٤ - المُبالغة في إقحام العين والسحر في تعبيرهم، فأصبح الناس مؤسوسين بالعين والسحر، وازدادت همومهم، واشتدت أوجاعهم، وأصبحوا يشكون فيمن حولهم.

والأخطر من ذلك تعيين أحد بعينه أو وصفه بأنه هو الذي أصاب بالعين أو بالسحر، فتساور الرائي الشكوك فيمن حوله، ويُسِيء الظن بمن عنده، وقد يتسبب بقطيعة الأرحام وهجر الأصدقاء والجيران.

وأعرف امرأة عَبرت عند واحد من أشهر المعبرين رؤيا، فعبرها بأنّ في بيتها جنّي!! فأصبحت لا تنام فيه إلا معها أحد، وساورها القلق والهَم والخوف، مع أنّ الرؤيا لا تُوحى بذلك أبداً.

وكم هم الذين حصل لهم مثل ذلك التعبير المثير للاتهام وأشدّ! وآخرون يُبالغون في نفي ذلك، وخيرُ الأمور أوسطُها.

وعندما يغلب على ظن المعبر أن أحداً بعينه أو وصفه أصاب الرائي بالعين أو بالسحر فينبغي عليه عدة أمور:

الأمر الأول: أن يأمره بإحسان الظن بمن حوله.

الأمر الثاني: ألا يصف له شكل العائن أو الساحر؛ لأنّ التعبير أمرٌ ظنيّ، فقد يصف له أحداً ويكون بريئاً، فتنشأ العداوات بينهما؛ فيبوء هو بياثم ذلك.

الأمر الثالث: أن يُعلّق قلبه بالله وحده، وأن يأمره أن يقرأ هو على نفسه، ولا يبحث عن الرّقاّة.

(١) البدر المنير، ص ٣٩٨.

وأخذَ اسمه من كون الآية مذكورة في سورة النمل التي فيها ذكر سليمان، وهو استنباط فيه بعد، ولكنه قد يصدق أحياناً.